أندري بريتون

الأُبَديّة تبحث عن ساعةِ يَد

(مختارات شعرية)

ترجمة

مبارك وساط

منشورات الجمل

شعر

أندري بريتون: الأَبَديّة تبحث عن ساعةِ يَد

أندري بريتون

الأَبديّة تبحث عن ساعةِ يَد

(مختارات شِعْرِيّة)

ترجمة

مبارك وساط

منشورات الجمل

مبارك وساط: شاعر ومترجم مغربيّ، آخر مجموعتين شعريتين صدرتا له: **رجل يبتسم للعصافير** (منشورات الجمل، بيروت، ٢٠١٠)؛ **عيون طالما سافرتْ** (منشورات بيت الشِّعر بالمغرب، ٢٠١٧). آخر كتابين مترجمين: **نادجا** لأندري بريتون (منشورات الجمل، بيروت، ٢٠١٠) و**التّحوّل**، لفرانتس كافكا (منشورات الجمل، ٢٠١٢).

أندري بريتون: الأبَديّة تبحث عن ساعةِ يَد (مختارات شِعْرِيّة)

ترجمة: **مبارك وساط**

الطبعة الأولى ٢٠١٨

كافة حقوق النشر والترجمة والاقتباس

محفوظة لمنشورات الجمل، بغداد ـ بيروت ٢٠١٨

تلفون وفاكس: ٠٠٩٦١ ـ ٠١ ـ ٣٥٣٣٠٤

ص.ب: ٥٤٣٨ ـ ١١٣ بيروت ـ لبنان

André Breton: L'éternité recherche une montre-bracelet, (poèmes choisis)

العنوان من اختيار المترجم (اقتبسه من قصيدة **إزاء الآلهة**، المترجمة ضمن هذه المختارات)

© *Al-Kamel Verlag 2018*

Postfach 1127 - 71687 Freiberg a. N. Germany

www.al-kamel.de

E-Mail: alkamel.verlag@gmail.com

تقديم

وُلِد أندري بريتون في تِنْشِبْراي (بمقاطعة أورنْ ـ منطقة النّورماندي) يوم ١٨ فبراير ١٨٩٦. كان الطّفل الأوحد لأبويه، وعاش طفولة وادعة. في نحو السّادسة عشرة، بدأ يهتمّ بكتابات بودلير ومالارميه... وانطلاقاً من ١٩١٣، نشأت بينه وبين الشاعر پول فاليري صداقة أدبيّة، ستبقى على قوّتها زمناً.

في سنة ١٩١٣ تلك، شرع بريتون في دراسة الطّبّ بباريس، واستُدْعِيَ للخدمة العسكريّة في بداية سنة ١٩١٥، وفي هذا النّطاق، عُيِّن للاشتغال بالعديد من مراكز العلاج العصبيّ ـ العقلي. في أثناء ذلك، بدأ يطّلع على أفكار سيغموند فرويد. كما أنّه، خلال سنتي ١٩١٧ و١٩١٨، أقام علاقة وثيقة بالشاعر غيّوم أپولينير.

نَشَر بريتون أولى مجموعاته الشّعريّة سنة ١٩١٩، تحت عنوان: «مصرف التّسليف بالرهن»، وخلال نفس السنة، أسّس، رفقةَ لويس (لوي) أراغون وفيليب سوپو، مجلّة «ليتّيراتور» (أدب). وقد شارك بريتون في أنشطة «مجموعة دادا» (المجموعة الدّادائيّة)، خلال سنوات ١٩١٩ ـ ١٩٢١، وكانت الدادائية، بالنسبة إليه، نوعاً من الجسر نحو السّوريالية.

والدادائية هي حركة ثقافية، أدبيّة وفنّية، تشكّلتْ في العقد الثاني من القرن العشرين، وتتميّز بإعادة نظر جذريّة في الأعراف والإكراهات الإيديولوجيّة والجمالية والسياسية. والمرجّح أنها ظهرت إلى الوجود في فبراير ١٩١٦ على يد كلّ من الشاعرين الألمانيّين هوغو بالْ وريشار هولْسَنْبيكْ والرسام التشكيلي مارسيل جانكو وصديقيه هانس آرب وتريستان تزارا (الشاعر الروماني المعروف). وقد اعتبر الدّادائيّون أنفسهم «سلبيّين»، فهم لا يؤمنون بفكرة التّقدّم، ولا يهتمّون سوى باليوم الحاضر (وحتى هذا الاهتمام تُخالطه «روح التّسلّي»)، وبالطبع، فهم يرفضون أيّاً من مظاهر الامتثالية في نطاق الأدب، ويعملون على التخلّص من كل رغبة في أيّ من النماذج الجمالية وفي ما يكرّسه الشعر أو الثقافة أو الذّوق في ذلك النطاق... إذن، فقد تميّزتْ الدّادائيّة باندفاعتها المتمرّدة الجامحة ورفضها لسلطة العقل والمنطق، وباستهانتها بالتقاليد. وعلى يد الشاعر الروماني الذي كتب أساساً بالفرنسية، تريستان تزارا، تمّت المواءمة بين الدّادائيّة والنضال اليساريّ. ويُنسَب اختيار تسمية «دادا» إلى تريستان تزارا، وهو نفسه يقول إنه فتح القاموس بشكل عشوائي، فعثر على كلمة «دادا»، وسمّى بها الحركة المذكورة.

وكان بريتون ـ قبل أن تظهر السّوريالية إلى الوجود ـ قد عمل على نشر الدادائية في باريس، ثم انتقل تزارا نفسه إلى العاصمة الفرنسية في أواخر ١٩١٩، لكن بريتون سيقطع علاقته لاحقاً بتزارا، بشكل مفاجئ اعتبره الكثيرون على جانب من «الفظاظة». بعد ذلك، سينتمي تزارا إلى الحزب الشيوعي ويستقرّ فيه لفترة طويلة نسبيّاً، فيما سيكون بريتون بمثابة عابر سبيل في الحزب

المذكور، إذ سرعان ما سيغادره، معلناً موقفه المعارض جذرياً للستالينية، كما أنه سيزور تروتسكي في المكسيك ويساند التروتسكية زمناً...

وقد التقى بريتون بسيغموند فرويد في فيينّا، في سنة ١٩٢١. وليس غريباً أن يكون بريتون قد سعى إلى لقاء فرويد، فالسوريالية كانت تمنح مكانة خاصّة للّاشعور وللأحلام في عملية الإبداع على العموم (كما تجلّى ذلك، مثلاً، في التحمّس السوريالي ـ خلال فترة ما ـ لما نُعِت بـ«الكتابة الأوتوماتيكية»). فمعلوم أنّ السّوريّالية كانتْ قد هدفتْ إلى الجمع بين مبتغى رامبو («تغيير الحياة») وهدف ماركس («تغيير العالَم»)، وإضافةً إلى هذا، فإنّ أندري بريتون، الذي كان قد افتتن بأفكار فرويد، استخلص منها ما يؤكّد وجودَ صلة عميقة تربط الواقع بعالم الأحلام، ووجودَ ضَرب من الاستمراريّة بين حال اليقظة وحال النّوم. وبالنّسبة لبريتون، فإنّ المماثلة بين الشاعر والحالم، التي كان بودلير قد أكّد عليها، أضحتْ متجاوَزة، إذ إنّ السّوريالية تبحث عن اتحادٍ للواقع والخيال، في ما يُشكّل «واقعاً مطلقاً»...

أمّا فرويد، وبحسب ما كتَبَ في رسالة له إلى ستيفان زفايغ، فإنّه كان «مرتاباً» بخصوص ممثّلي السوريالية، بل وحسبهم مجانين «بنسبة ٩٥٪»، ولم يُغَيّر رأيه هذا إلا بعد أن عاين أعمال سالفادور دالي!

في سنة ١٩٢٤، ظهر «بيان السّوريّاليّة»، بقلم أندري بريتون، ويجب أن نشير إلى أنّه كان، في طبعته الأولى تلك، تقديماً لكتاب بريتون الشّعري «سمكة قابلة للذّوبان».

في هذا البيان، يُشِيد أندري بريتون بالخيال الحُرّ كلّيةً، وبالعجيب والمدهش ممّا يبتدعه هذا الخيال وتحفل به الأحلام، بل ويؤكّد أن الجمال يكمن بالضّبط في ما هو مدهش وعجيب، كما يُبدي قناعته في أنّ التّنابذ بين الحلم والواقع آيلٌ إلى الزوال، ويدعو إلى الكتابة الأوتوماتيكية (التي تطلق العنان للاشعور وللخيال، رافضةً رقابة العقل). وقد قدّم بريتون التعريف التالي للسوريالية: «آلية نفسانية خالصة، تُعتَمد، إمّا كتابيّاً أو بأيّ طريقة أخرى، للتعبير عن الاشتغال الفعليّ للتفكير في غياب كلّ رقابة يمارسها العَقل، وخارج أيّ انشغال جماليّ أو أخلاقيّ».

فيما يخصّ مصطلح «سورّيالية»، فإنّه يعني، حَرفيّاً: «فوق واقعيّة». وكان أوّل من استعمله هو الشّاعرُ الفرنسيّ غيّوم أپولينير، فقد كتب في رسالة وجهها إلى أحد أصدقائه، في مارس ١٩١٧: «بعد تفحّص مليّ، أعتقد فعلاً أنّه من الأَولى اعتماد «سوريالِيزم» (سوريالية؛ فوق واقعية) عوض «سورناتوراليزم» (فوق طبيعية) الذي كنتُ قد استعملته بدءاً». وحسب «معجم السوريالية» لجان بول كليبير، فإنّ الشّاعر الفرنسيّ پيير ـ ألبير بيرو هو الذي اقترح على أپولينير، حين كان هذا الأخير على وشك إنهاء مسرحيته «ثديا تيريزياس»، أنْ يَخصّها بنعت «دراما سوريالية» (دراما فوق ـ واقعية)، عوض «دراما سورناتورالية» (فوق ـ طبيعيّة)...

وقد أكّد بريتون على التّوجّه السياسيّ الثوريّ للسوريالية، من خلال منشور «الثورة بدءاً ودوماً»، الذي ظهر سنة ١٩٢٥. وصدرتْ له، بعد تلك السّنة، أعمال عديدة، نذكر منها: «نادجا» (١٩٢٨)،

«البيان الثّاني للسّوريّالية (١٩٢٨)، الأواني المستطرقة» (١٩٣٢)، «الحبّ الجنونيّ» (١٩٣٧)، «أنطولوجيا الفكاهة السوداء» (١٩٤٠)، «اللمبة في ساعة الحائط» (١٩٤٩)...كما أنه أصدر صيغة نهائية لكلٍّ من : «بيانات السّوريالية» (١٩٦٢)، و«نادجا»، (١٩٦٣). وكان قد أسّس مجلّاتٍ، منها : «الثورة السوريالية»، «السّوريّاليّة في خدمة الثّورة»، «السّورياليّة، نفسها»... ونظّم ، رفقة مارسيل دوشان (دوتشامب) المعرض الدّولي الثّامن للسّورياليّة، الذي فتح أبوابه بباريس، في شهر ديسمبر ١٩٥٥.

نشير، أيضاً، إلى أن بريتون كان قد غادر بلده إلى أمريكا، سنة ١٩٤١، رفضاً منه لمواقف حكومة فيشي التي مالأت النّازية (وسيعود إلى فرنسا سنة ١٩٤٦)، كما أنّه كان ضمن الموقّعين على «إعلان الحقّ في العصيان في حرب الجزائر» (١٩٦٠). وفي صبيحة ٢٨ سبتمبر من سنة ١٩٦٦، رَحل أندري بريتون عن عالَمنا بأحد مستشفيات باريس.

* * *

نشير إلى أنّ عنوان مختارات أندري بريتون في ترجمتها هاته إلى العربية ـ «الأبدية تبحث عن ساعة يد» ـ قد اقتبسه المترجم من أحد نصوص بريتون التي يتضمنها هذا الكتاب.

مختارات من الكتاب الشّعريّ:
«سمكة قابلة للذّوبان»

القسم الأوّل

كان البستان، في تلك السّاعة، يَمدُّ يديه الشّقراوين فوق السّاقية السّحريّة. حِصْنٌ من دون دلالة كان يمضي على عجلات فوق سطح الأرض. قربَ الإله كان دفترُ هذا الحصن مفتوحاً على رسم لظلالٍ، لرِيشٍ، لأزهار سَوْسن. بقُبلةِ الأرملة الشّابّة، كانَ اسْمُ النُّزُل المُلامَس مِن قِبل سُرْعةِ السّيارة ومن قِبَلِ الأعشاب الأفقيّة المعلّقة. كذلك لم تهتزّ قطّ الفروع حامِلةُ تواريخ السّنة الماضِية لدى دُنُوّ السّتائر، حين كان الضّوء يقذف بالنّساء إلى الشُّرُفات. كانت الإيرلنديّة الشّابّة التي سَبّبتْ لها البلبلةَ تشكّياتُ الرّيح الشّرقيّة تستمع لطيور البحر وهي تضحك في حضنها.

«يا بناتِ اللحد الأزرق، يا أيّام أعياد، يا أشكالاً لصلاةِ تبشيرٍ قُرعتْ أجراسُها وتُؤَدّيها عيناي ورأسي حين أستيقظ، يا أعرافَ الأقاليم ذاتِ البقع المتموّجة، إنّكنّ تجلبْن لي شمسَ المَنْجرات البيضاء، المَنْجراتِ الآليّة، وشمسَ الخمر. إنّها ملاكي الشّاحب، يداي المطمْأَنّتان جَيّداً. نورسَا الفردوسِ المفقود!»

يدخلُ الشّبح على رؤوس أصابعه. بسرعةٍ يتفحّصُ البرج

وينزل السُّلمَ المُثلّثَ الشّكل. جورباه الطّويلان الحريريان الأحمران يبثّان وَميضاً دَوّاراً على المنحدرات التي من أَسَل. عُمْر الشّبح مئتا عامٍ تقريباً ولا يزال يتكلّم الفرنسيّةَ قليلاً. ولكنْ في لحمه الشّفّاف يتواءمُ طَلُّ الصّباح وعَرقُ الكواكب. إنّه ضائعٌ بالنّسبة لنفسِه في هذا الصَّقع المتحنِّن. شجرةُ الدّردار الميّتة والكَتَلْبة[1] ذات الأوراق الشّديدة الخُضْرة هما وحدهما اللتان تتأوّهان وسط سَيْل حليب النّجوم المتوحّشَة. نواةٌ تنفجِر بداخل ثمرة. ثم تَمرّ السّمكة ـ الزّورق، ويداها على عينيها، طالبةً لآلئَ أو فساتين.

امرأةٌ تغنّي في نافذة حِصْنِ القرن الرّابع عشر هذا. في أحلامها، هنالك أشجارُ جَوزٍ سُود. لا أعرفها بَعدُ لأنّ الشّبح يَستفيض في جعلِ الطّقس من حوله رائقاً. فجأةً حلّ الليل مثلما دائرة زخارف من أزهار مقلوبة فوق رؤوسنا.

سفينة كبيرة هي جرَسُ فرارنا المتكرّر: الفرار في الخامسة صباحاً، حين يَرين الشّحوب على الجميلات المسافرات في القطار السّريع وهنّ في أسِرّتهن السّرخسيّة، الفرار في الواحدة زوالاً مُروراً بزيتونة القتل. سفينةٌ كبيرة هي جَرسُ فرارنا المتكرّر في كنيسةٍ شبيهةٍ بِظِلّ مدام دي پومپادور. لكنّي قرعتُ جرس الحاجز المُشَبّك في مدخل الحصن. جاءت للقائي خادماتٌ عديدات لابساتٍ قُمصاناً داخليّةً لصيقة من ساتان في لون

(١) الكتلبة: شجرة، أصلها أمريكي.

الضّوء. في الليل المجنون تبدو على وجوههنّ المُشْفِقة سِيمَا الخوف من أنْ يلحق بهنّ ما يَشين. «فيمَ ترغب؟

ـ قُلْن لسيّدتكنّ إنّ طرف سريرها هو نَهرُ أزهار. أُجلُبَنَها من جديد إلى قبو المسرح هذا الذي كان يخفق فيه باقصى جهد قلبُ عاصمةٍ نسيتُها. قُلْن لها إنّ وقتها ثمينٌ عندي وإنّ كلّ أحلام يقَظتها تشتعل في شمعدان رأسي. ولا تنسَيْنَ أنْ تُبَلّغنها رغباتي المُعتلجة تحت الأحجار التي هي أنتنّ. وأنتِ الأجملَ من بِزْرة شمس في منقار الببّغاء الفاتن بهذا الباب، قولي لي فَوْراً كيفَ حالُها. إذا صحّ أنّ الجسر المتحرّك للَبلاب الكلام سينزِل هنا إثْرَ نداءٍ بسيط من رِكَاب.

ـ أنتَ على حقّ، قالت لي، فالظِّل الحاضر هاهنا قد خرجَ عند الظّهيرة راكباً فرساً. وكانت الأعنّة مُشكّلةً من كلماتِ حُبّ، فيما أعتقد، لكن ما دامت مناخيرُ الضّباب وكُيَيْسات اللازورد قد جلبتْك إلى هذا الباب الصّفّاق إلى الأبد، أُدْخلْ وداعبْني بملامساتك عبر هذه الأدراج التي تنغل فوقها الأفكار.»

من أسفل إلى أعلى كانت تتطاير زنابير كثيرة لكلٍّ منها ضِلعان متساويان. كان فَجْرُ المساءِ الجميلُ يتقدّمني، عيناهُ في سماءِ عينيّ ومن دون أن يلتفت. هكذا تضطجع السُّفن في زوبعة الفِضّة.

عِدّة أصداء تتجاوب على الأرض: صدى الأمطار شبيهُ سِدادة فلّينٍ مشدودة إلى قصبة صيد، صدى الشّمس وكأنّها الصّودا الممتزجة بالرّمل. الصّدى الحاضرُ هو صدى الدّموع

والجَمال الخاصّ بالمغامرات المستعصيةِ قراءتُها، وبالأحلام المبتورة. ها نحن نصل إلى مقصدنا. وكان الشّبح الذي ارتأى، خلال الطّريق، أن يلتحم بالقدّيس «دوني»، يزعم أنّه يرى في كلّ وردةٍ رأسَه المقطوع. تمتمةٌ ملتصقة بزجاج النّوافذ وبالدّرابزين، تمتمة باردة، كانت تنضمّ إلى قُبَلنا دون أيّ تحفّظ.

على طرف الغيوم تقبع امرأة، على طرف الجُزر امرأة تقبع مثلما على الحيطان العالية المزيّنة بكَرْمٍ لمّاع يَنضج العنب، بعناقيده الجميلة الّذهبيّة والسّوداء. هنالك أيْضاً شَتلةُ الكرمة الأمريكيّة، وهذه المرأة كانت شتلةَ كرمةٍ أمريكيّة، من النّوع الذي هو آخِرُ ما تمّ توطينه في فرنسا والذي يُنتِج حبوبَ خُبَّازى قِمَعيّة لمْ تُخْتَبرْ بعدُ نكهتها الكاملة. كانتْ ذاهبة آيبة في شقّةٍ ـ ممرّ شبيهة بالمقطورات ـ الممرّات في القطارات الأوروبية فائقةِ السُّرعة، مع فارق أوحدَ هو أنّ إشعاع مصابيحها لم يكن يُمكّن من التّمييز الواضح لدَفق صُهارات الحُمم، للمآذن وللكسل العظيم لحيوانات الهواء والماء. سعلتُ مرّاتٍ عِدّة واندسّ القطار المذكور في أنفاق، ونوَّم جسوراً مُعلَّقة. إلاهةُ المكان ترنَّحتْ. تلقّفتُها بين ذِراعيّ، ووشوشاتٌ تنبثق منها، ووضعْتُ شفتيّ على عنقها دون أن أقول كلمة. ما جرى بعد ذاك يندّ بأكمله تقريباً عن ذهني. فأنا لا أُلاقينا من جديد إلاّ بعد وقت، هي في زينةٍ صارخة بشكل رهيب تجعلها تشبه تروساً متشابكة في آلة جديدةٍ تماماً، وأنا مندسّ بقدر ما أستطيع في هذا اللباس الأسود الممتاز الذي لمْ أعُد أخلعه منذ ذلك الوقت.

كان عليّ أن أمرّ، قبل هذا، بكَابَاريهٍ يُشْرف عليه أعضاءُ عُصبةٍ سياسية قُدامى جِدّاً سبّبتْ لهمْ حالتي المدنيّة بلبلةَ طيور. رافعةٌ أتذكّرها أيْضاً رفعتْ إلى السّماء عُلباً كانت شَعَراتٍ ولا شكّ، وبأيّ خِفّةٍ رهيبة يا إلهي. ثمّ حلّ المستقبل، المستقبل نفسه. كانت الطّفلة ـ الشّعلة، الموجةُ الرّائعة التي ظهرتْ قبل لحظات، تقود خطاي كما لو كانتْ أشرطة من ورق الزّخرفة. تشقّقاتُ السّماء أيقظتني أخيراً: لمْ يَعد هنالك لا بستان، ولا نهار ولا ليل، ولا جنازات بيضاء تمضي على رأسها أَطواقٌ من زجاج. كانت المرأة التي اتّخذتْ مكاناً إلى جانبي تتملّى انعكاسَ قدميها في بِركةٍ من ماء الشّتاء.

لم أعد أُبصر جيّداً من بعيد، فكما لو أنّ شلاّلاً وُجِد فيما بيني وبين مسرح حياتي الذي لم أكن الممثّل الأساسيّ فيه. طَنينٌ حبيب إلى القلب يُرافقني. على امتداده تَصفرّ الأعشاب وتنكسر حتّى. حين أقول لها: «امسكي هذه الكأس المدخّنة التي هي يدي في يديك، فها هو الكسوف»، تبتسم وتغوص في البحار لتستخرج منها فرع مرجان الدّم. لسنا بعيدين عن مَرعى الموت ومع ذلك فنحن نُؤوي ريحاً وأمَلاً في هذا الصّالون الذّابل. أنْ أحبّها، ذلك خَطر ببالي مثلما يُحِبّ المرء. لكنّ نصف ليمونة خضراء، وشَعرَها الذي هو شَعر مجذاف، وسهوَ الفخاخ عن القبض على البهائم الحَيّة، هي ما لمْ أستطعْ التّخلّصَ منه كُلّيةً. وهي الآن تنام، قُبالة اللانهائيّ من غرامياتي، أمام هذه المرآة التي أكمدتْها الأنفاس الأرضيّة. فهي حين تنام تصبح حقّاً مِلكاً

لي، وأدخل في حُلمها مثلما لِصّ وأفقدُها كما يُفقَد تاج. لقد سُلِبتُ جذور الذّهب، بالتّأكيد، لكنّي أمسكُ بخيوط العاصفة، وأحتفظ بالأختام الشّمعِيّة للجريمة.

لقدْ وصفتُ أقلّ حاشيةٍ للهواء أهمّية، تلك التي يَهرب إليها ويموت فيها تُدْرُجُ القمر، التي يهيم فيها مُشط الزّنازين الباهر، التي فيها تُنقَع ياقوتِيّةُ الشّرّ، وصَفتُها في لحظاتِ صفاءٍ ذهْنِيّ يُصبح نادراً لديّ أكثر فأكثر، وأنا أرفع بِحنان مُفْرط هذه الضّبابة البعيدة. والآن، فالرّقة هي التي تعود، والجادّة شبيهة بملاّحة تحت اليافطات المُضاءَة. أعودُ بفواكهَ بَرّية، بثمار عِنبيّاتٍ مُشَمّسة أمنحها لها، فتكون بين يديها جواهرَ عظيمة. يبقى واجباً إيقاظُ الرّعشات في أجمات الغرفة، وربطُ جداول في نافذة النّهار. هذه المُهمّة هي خاتمة كلّ شيء، الخاتمة الرّائعة المُسَلّية التي تُبقينا يَقظَيْن رغم كلّ تعبنا، رجلاً وامرأة، وذلك بحسب مسارات الضّوء وبمجرّد ما نتمكّن من تخفيف سرعته. والنّساء، خادِماتُ الضّعف، خادماتُ السّعادة، يُغَرِّرْن بالضّوء مقهقهات.

القسم الثّاني

أقلّ من الوقت اللازم لقول هذا، أقلّ من الدّموع اللازمة للموت: لقدْ عددتُ كلَّ شيء. قُمتُ بإحصاء الأحجار؛ إنّها بعدد أصابعي وأصابع أخرى قليلة؛ وزّعتُ مطبوعات دعائيّةً على النّباتات، وكلّها لم تقبلْها منّي. مع الموسيقى نسَّقْتُ أعمالي لثانيةٍ فحسب والآن ما عدتُ أعرف كيف أنظر إلى الانتحار ذلك أنّني إذا شِئتُ أن أنفصل عن نفسي، فالمنفذ إلى الخارج هو في هذه الجهة، وأضيف متماكراً: المدخل، الدّخول هو من هذه الجهة الأخرى. تَرى ما الذي يبقى عليك فِعلُه. السّاعات، الغَمّ، لا أقيم لها حسابا معقولا؛ أنا وحدي، أنظر عبر النّافذة؛ لا يَمرّ أحد، أو بالأحرى لا أحد يمرّ(أُشَدِّد على يمرّ). هذا السّيّد، ألا تعرفونه؟ إنّه السّيّد هُوَهُو. أقدّم لكم السّيّدة مدام. وأبناءَهُما. ثمّ أعود ناكصاً على عقبيّ، خطاي تعود بدورها لكنْ لا أعرف على ماذا تنكص. أتفحّص جدول مواقيت؛ لقدْ أُحِلَّتْ فيه محلّ أسماء المدن أسماءُ أشخاصٍ كانوا وثيقي القرابة منّي. هل سأمضي إلى «أ»، هل سأعود إلى «ب»، هل سأغيّر القطار في «س»؟ نعم، بالطّبع، سأغيّره في «س». فحبّذا أنْ لا يفوتني القطار الآخر الذي سيتابع بي إلى

السّأم! ها نحن قد بلغناه: السّأم، المتوازيات الجميلة، آه! كم المتوازيات جميلة تحت متعامدات الله.

القسم الثّالث

في ذلك الزّمن، لم يكن هنالك انشغال حول ساحة الباستيل إلاّ بزنبورة هائلة الضّخامة كانت تنزلُ في الصّباح جادّة ريشار لونوار مُغَنِّيةً بأعلى صوت وطارحةً ألغازاً على الأطفال. كان السّفنكس العصْريّ قد تسبّب في وقوع عدد لا بأس به من الضّحايا حين، لدى مغادرتي مقهىً اعتبر المُكلّف بها من الجيّد أن يَجعل صورَةَ مدفع زخرفاً بأعلى مدخلها، رغم أنّ السّجن المرتفع في ذاك المكان يُمكن أن يُعتبر بنايةً أسطوريّةً، لاقيتُ الزّنبورة التي لها قدّ امرأةٍ جميلة والتي سألتني عن الطّريق.

«يا إلهي! جميلتي، لستُ أنا الذي ينبغي أن يَبريَ لك قلم أحمر الشفاه. فسبّورة السّماء فِعلاً قد مُسِحتْ للتّو وتعرفين أنّ المعجزات لم تعد لا بالدّافئة تماماً ولا بالخفيفة كلّيةً. عودي إلى بيتك، إنّك تسكنين بالطّابق الثّالث من عمارة حسنة المظهر، ورغم أنّ نوافذك تنفتح على الباحة، فربّما ستجدين طريقة للكفّ عن إزعاجي.»

كان طنين الحشرة، الذي لا يُحْتَمل مثلما احتقان رئويّ، يُغَطّي في تلك اللحظة على ضَجيج التّراموياتِ، التي كان التّرولّي من يعاسيبها. والزّنبورة، بعد أنْ نظرتْ إليّ طويلاً، قاصدةً، بلا شكّ، أنْ تُبيّن لي تفاجؤها الهازئ، اقتربتْ منّي

وقالتْ في أذني: «سأعود.» وبالفعل اختفتْ وكنتُ حقّاً مغتبطاً بالتّخلُّصِ منها بكلّ ذلك اليُسْر إذْ بدا لي جِنّيُ السّاحة، الذي يكون في العادة شديدَ اليقَظة، وقد أخذه الدُّوار ويُوشكُ أنْ يَهويَ فوق المارّة. لمْ يكنْ ممكناً أن يكون الأمر سوى هلوسةٍ مِن قِبلي سبّبتها الحرارة المرتفعة جِدّاً. بل وكانت الشّمس تُضايِقني من أجل أنْ تُبرِم نَقلاً فُجائيّاً للسُّلط الطّبيعيّة ذلك أنّها كانتْ شبيهةً بورقةِ شجرةِ حَوْرٍ رجراجة ولمْ يكنْ عليّ سوى أن أُغمض عينيّ لأسمع الأغبرة تُغَنّي.

والزّنبورة التي أشعرني دنوّها رغم كلّ شيء بانزعاج قويّ (فقد كان الكلام يدور مجدّداً منذ بضعة أيّام حول مآثرِ لَسّاعات مجهولات لم تكن تحترم لا برودة الميتْرو ولا عُزلات الأحراج)، لم تكن قد كفّتْ تماماً عن إسماع طنينها.

غير بعيد عن ذلك المكان، كان السِّينْ يجرف بصورة غيرِ قابلة للتّفسير جذع امرأة صقيلاً بشكلٍ رائع رغم أنّه كان منزوع الرّأس واليدين وبعضُ السّوقة الذين بلَّغوا قبل قليل عن ظهورها كانوا يقولون إنّ ذلك الجذع هو جسد كامل لكنّه جسدٌ جديد، جسد لم يسبق لأحد بكلّ تأكيد أن رآه أو لامسه. وأفراد الشّرطة، المتعبون، كانوا قد جاشت مشاعرهم لكنْ إذْ لمْ يعدْ قطّ اُلزّورقُ الذي أطلقوه لملاحقة حوّاء الجديدة، فقد تخلّوْا عن القيام بملاحقة أخرى تكون تكاليفها أعلى وتمّ التّسليم دونما ضمانة بأنّ الثّديين الأبيضين الجميلين والخافقين لمْ يكونا قطّ لكائنة حيّة من الصّنف الذي لا يزال يُخالِجُ رغباتنا. لقد كانت فيما وراء رغباتنا، على طريقة الشُّعَل وكانت نوعاً ما اليومَ الأول من موسم الشعلة الأنثوي، ٢١ مارس أوحد من ثلج ولآلئ.

القسم التاسع

ليلةٌ شنيعة، ليلةُ أزهار، ليلةُ حشرجات، ليلةٌ مُدوِّخة، ليلةٌ صمّاء يَدُها طيّارة ورقيّة بشعة مشدودة من كلّ الجهات بخيوط، خيوط سوداء، خيوط مُخزية! يا ريفاً من عظام بيضاء وحمراء، ماذا فعلتَ بأشجارك المقزّزة، ببراءتك المتشجرة، بإخلاصك الذي كان كُيْساً تزدحم فيه اللآلئ، منقوشةً عليه أزهار وكتاباتٌ كيفما اتّفق، ودلالاتٌ في أقصى الحالات؟ وأنتَ، يا قاطع الطّريق، يا قاطع الطّريق، آه إنّك تقتلني، يا قاطع طريقٍ في ماء ينزعُ أوراق سكاكينه في عينيّ، ألا تعرف الشّفقة، يا ماءً مُشِعّاً، يا ماءَ معموديّةٍ أُكنّ له الحبّ! ستطاردكم لعناتي طويلاً مثلما طفلة جميلة حدَّ أنّها تُخيف، طفلة تُلوِّح في اتّجاهكم بمكنستها التي من خشب الوزّال. في طرف كلّ فرع هنالك نجمة وهذا لا يكفي، كلاّ، يا هندباءَ مريم العذراء. ما عُدت أُريد أن أراكمْ، أريد أنْ أُخرِّق بقطع رصاصٍ صغيرة طيوركم التي ما عادتْ حتّى أوراقاً، أريد أن أطردكمْ من بابي، يا قلوباً ذات بُزور، يا أمخاخاً منذورةً للحُبّ. كفى من التّماسيح هناك، كفى من أسنان التّماسيح على دروع المحاربين السّاموراي، وكفى أيضاً من دفقات الحِبر، في كلّ مكان جاحدون، جاحدون بأطرافِ أكمامٍ

حمراء أرجوانيّة، جاحدون لهم عيون الكشمش الأسود، لهم شَعْرُ دجاجة! اِنتهى الأمر، لن أُخفي بعدُ شعوري بالخِزْي، لا شيءَ بعدُ سيمكنه أن يهدّئني، ولا أقلُّ من لا شيء. وإذا كانت عجلات القيادة في حجم بيوت، فكيف تريدون منّا أن نلعب، أن نتعهّد ديداننا، أن نضع أيدينا على شفاه القواقع التي تتكلّم بلا توقّف (هذه القواقع، من سيُسكتها، آخِرَ الأمر؟). لا أنفاسَ بعدُ، لا دم، لا روح ولكنْ أيادٍ لِعجن الهواء، لجعلِ خبز الهواء في لون الذّهب لِمرّة واحدة، أيادٍ لِتصْفقَ الممحاةَ الكبيرة للرّاياتِ النّائمة، أيادٍ شَمسيّة، وبإيجاز، أيادٍ جمّدتها البرودة!

القسم السّادس عشر

المطر وحده إلاهيّ الطّابع، لذا فإنّ العواصف حين تنفُض فوقنا فائقَ زيناتها، وترمي إلينا بأكياس نقودها، نشرع نحن في القيام بحركة تمرّد لا تُماثِلُ إلاّ دعكَ أوراقِ أشجارٍ في غابة. السّادة الكبار، ذَوو حواصل المطر، رأيتُهم يوماً يمرّون على خيولهم وأنا من استقبَلهم في *النّزل الطّيب*. هنالك المطر الأصفر، الذي تَسقط قطراته العَريضة مثلما شَعْرنا مباشَرةً في النّار فتُطْفِئُها، المطر الأسود الذي تنساب قطراته على زجاج نوافذنا بتحبّب مخيف، لكنْ لا ننسَ أنّ المطر وحده إلاهيُّ الطّابع!

في هذا اليوم الماطر، وهو يوم مثل أيّام أخرى كثيرة أكون خلالها الرّاعي الوحيد لقطيع نوافذي على حافة هاوية أُقيمَ فوقها جِسرٌ من الدّموع، أُدَقّق النّظر في يديّ اللتين هما قناعان على وجهين، ذئبان يرتاحان كثيراً لدنتيلاّ أحاسيسي. أيّتها اليدان الحزينتان، إنّكما ربّما تُخْفِيان عنّي الجمال كلَّه، لا أُحِبّ مظهرَ المتآمرتين الذي لكما. بالتّأكيد سأجعلُ رأْسيكما يُقْطعان، ولستما من سأنتظر منهما إشارة للقيام بذلك؛ أترقّب المطر مثلما قنديل رُفِع ثلاث مرّات في الليل، أو كعمود من البلّور يصعد

وينزل بين التّشَجّرات المباغتة لرغبتي. يداي هما تمثالان للعذراء في كوّةٍ قاعُها له زُرقة الشّغل: ما الذي تمسكان به؟ لا أريد أن أعرف ذلك، لا أريد أن أعرف سوى المطرِ الشبيه بقيثار كبير على السّاعة الثّانية بعد الظّهيرة في قاعة استقبالِ بيتِ السّوء، سوى المطرِ إلهيِّ الطّابع، المطرِ بُرْتقاليِّ اللون ذي الجوانب الخلفيّة التي هي أوراق سرخس، المطر بما هو بيوضٌ للضّريس شفّافةٌ كلّيّةً وأجزاءُ صغيرةٌ من أصوات يُرَجّعها الصّدى الألف.

ليس لعينيّ تعبير أقوى ممّا لقطرات المطر التي أُحِبّ أن أستقبلها في داخل يدي؛ في داخل فكري يسقط مطر يجعل نجوماً تهوي معه مثلما يجرف نهرٌ صافي المياه الذّهبَ الذي سيجعل عمياناً يقتتلون. بين المطر وبيني تمّ عقدُ ميثاقٍ باهر وفي ذكرى هذا الميثاق تُمطر السماءُ أحياناً والشّمس في أشدّ السّطوع. وخضرة الأعشاب هي أيْضاً مطر، يا مَرْجاتِ خَضيرٍ، يا مَرْجات خَضير. السّرداب الذي توجد بمدخله شاهدة قبر تحمل اسْمي هو السرداب الذي يسقط فيه المطر بشكل أفضل. والمطر هو ظِلٌّ تحت قُبّعة القشّ الهائلة التي لفتاةِ أحلامي الشّابّة، وشريط تلك القبّعة هو جدولُ مطر. ما أجمل المطر ويا للتّأثّر الذي تعرف كيفَ تُسبّبه لي أغنيتُه التي تعود فيها أسماءُ بنّائي السّقوف الشّهيرين! فما الذي أمكنَ إنشاؤه من الألماس عدا أنهار؟ المطر يُضخّم هذه الأنهار، المطر الأبيض الذي ترتدي فيه النّساء ألبستهنّ بمناسبة زفافهنّ، والذي له رائحة زهرة شجرة التّفّاح. لا أفتح بابي إلاّ للمطر ومع ذلك يُقرَع جرسُ بيتي

في كلّ لحظة ويكاد يُغْمى عليّ حين يتمّ الإلحاح، لكنّي أعتمد على غيرة المطر لتُخلّصني في نهاية المطاف، وحين أنصبُ شِباكي لطيور النّوم، يكون ما آمله أوّلاً هو أن أضع اليد على جنّات المطر الكامل الباهرة، على الطّائر ـ المطر الذي هو موجود كَما الطّائر ـ القيثارة[1]. فلا تسألوني إنْ كنتُ عمّا قريبٍ سأَنفذ إلى ضمير الحبّ مثلما يُشير البعض إلى ذلك، وأكرّر لكم أنّكم إنْ رأيتموني أتوجّه نحو حِصنٍ من زجاج حيثُ تتهيّأ لاستقبالي مكاييلُ مطليّةٌ بالنّيكل، فذلك لأباغت فيها الدّيمة[2] في الغابة النّائمة، فلا بدّ لها من أن تُصبح عشيقتي.

(١) هو طير القيثارة، له بذنَبه ريشتان معقوفتان كالقيثارة.

(٢) الدّيمة: هنا، بمعنى «المطر»، واعتماد هذه الكلمة المؤنّثة يفرضه السّياق.

القسم العشرون

ارتأينا ذاتَ يوم أن نجمع في كأس من تراب أبيض زغب الفواكه؛ هذه الطّبقة البخاريّة، دهنّا بها مرايا عِدّة وعُدنا بعد ذلك بزمن طويل: كانت المرايا قد اختفتْ. كانت المرايا قد وقفتْ، واحدةً تلو الأخرى، وخرجتْ وهي ترتعد. بعدها بوقت أطول بكثير، باحَ أحدُهُم بأنّه، إذْ كان عائداً من عمله، التقى بواحدةٍ من تلك المرايا، وكانت قد اقتربتْ منه رويداً رويداً، واصطحبها معه إلى بيته. كان شابّاً يتمرّن على مهنة ما وكان جميلاً إلى حدّ بعيد وهو في بدلة الشُّغل التي كانت تجعله يُشبه حوضاً مليئاً ماءً غُسِل فيه جُرح. رأسُ هذا الماء ابتسم مثلما يبتسم ألف طائر على شجرة للجذور المغمورة بالمياه. بِيُسر أصعدَ المرآة إلى بيته وهو يتذكّر فحسب أنّ بابين اصطفقا إذْ مرّ بهما، بابين كان لكلّ منهما يافطة من زجاج قليلة العُرض تحيط بمقبضه. كان يُبقي يديه متباعدتين لِينقل حِملَه، وقد اتّخذ احتياطات شَتّى كي يضعه في زاويةٍ بغرفة وحيدة بالطّابق السّابع كانت مأواه، ثمّ دلف إلى سريره. ولم تغمض له عين طول الليل؛ وكانت المرآة تعكس نفسها على عمق لا يُقاس ولمسافة لا تُصَدَّق. ولم يكن للمدن إلاّ لحظة وجيزة تَظهر الواحدة منهنّ

خلالها بين منظرين لعمق المرآة: مُدنُ حُمّى كانت تذرعها في كلّ اتّجاه نسوة وحيدات، مدُن هجران، مدن عبقريّة أيضاً، كانت تعلو بناياتِها تماثيلُ متحرّكة حاملاتُها مصمّمة بحيث تشبه بني آدم، مدنُ عواصف فقيرة، وهذه التي هي الأجمل والأسرع عبوراً من الأخريات وكلّ قصورها ومصانعها كانتْ على شكل أزهار؛ البنفسجة كانت موضعَ رَبْط السّفن. بالجهات الخلفية من المدن لم يكن هنالك كَقُرىً سوى سماوات، سماوات ميكانيكيّة، سماوات كيماويّة، سماوات رياضياتية، حيثُ كانت تتحرّك أشكال دائرة الفلك، كلُّ شكل في نطاقه لكنّ برج الجوزاء كان يعود مرّاتٍ أكثر من غَيْره. نهض الشّابّ متعجّلاً في الواحدة، وهو يحسب أنّ المرآة تنحني إلى الأمام وأنّها على وشك السّقوط. وقد أعادها إلى وضع عموديّ بصعوبة كبيرة، وبغتةً شَعر بالقلق، واعتبر أنّ رجوعه إلى السرير قد تكون له عاقبة وخيمة، فبقي جالساً على كرسيّ أعرج على خطوة من المرآة فحسب، وقُبالتَها تماماً. واعتقد لحظتها أنّه يتنبّه لأصوات تنفّسِ كائن غريب في الغرفة لكنْ لم يكن هنالك بتاتاً أَمر من هذا القبيل. كان الآن يرى شابّاً تحت باب كبير، وكان ذلك الشاب شبه عارٍ؛ ولم يكن خلفَه سوى مشهد أسود يمكن أن يكون مُشَكّلاً من ورق محروق. وحدها أشكالُ الأشياء كانت قد تبقّت وكان ممكناً معرفة الموادّ التي اندمجت فيها تلك الأشياء. لا شيء أكثر مأساويّةً من هذا، في الحقيقة. بعضٌ من هذه الأشياء كانتْ في ملكيّته: مجوهرات، هدايا تلقّاها في نطاق علاقات حُبّ، أشياء تبقّت من أيّام الطّفولة، وحتى قارورة

العطر تلك التي لم يكن ممكناً العثور على سِدادتها. أشياء أخرى كانت مجهولة بالنّسبة إليه، ولم يستطع تبيّن طريقة لاستعمالها. كان الشّاب الذي يتعلّمُ مهنةً ما يزال يتفرّس أبعد فأبعد في الرّماد. وكان يشعر برضىً آثِم إذ رآى ذلك الشّابّ الباسِم يدنو من يديه، وكان وجه هذا الأخير يشبه كرةً يحلّق بداخلها طائران طنّانان. أمسكه من وسطه الذي هو وسط المرآة، أتدرون، وإذ فرّ الطّائران، تصاعدت الموسيقى حواليهما. فما الذي حدث في تلك الغرفة؟ الحاصل انّه منذ ذلك اليوم لم يتمّ العثور مجدّداً على المرآة ولا يحدثُ أبداً أن أُدنيَ فمي من واحدة من شظاياها الممكنة دونما انفعال، حتّى لو نتج عن ذلك أن لا أعود أرى خواتم الزّغب هاته، أي البجعات التي توشك أن تشرع في الغناء.

القسم الثاني والعشرون

هذه المرأة، تعرّفتُ بها في بستانِ عنبٍ مترامي الأطراف، أيّاماً قبل بدء القِطاف وتبعتُها ذات مساء حَول جدران دَيْر. كانتْ في حِداد عظيم وشعرتُ بالعجز عن مقاومة عُشّ الغربان الذي كان قد شكّله لي وَميضُ وجهها، قبل لحظات، إذ كنتُ خلفها أسعى إلى الارتقاء عبر ثياب الأوراق الحمراء التي تتهزهز فيها رعشاتٌ ليليّة. فكَّرْت: من أين جاءتْ وما الذي كانَ يُذكّرني به بستان أشجار العنب القائم وسط مدينة، في موقع المسرح. لم تكن قد التفتتْ مرّةً أخرى نحوي، ولولا التماعة رَبلة ساقها المفاجئة، والتي كانتْ من حين لآخر تبيّن لي الطّريق، لكنتُ يئستُ مُطلقاً من اللحاق بها. وفعلاً كنتُ أتهيّأُ لألحق بها حين استدارت كلّيةً وفتحتْ إلى حدّ ما معطفها مُظهرةً لي عريها الذي يسلبُ اللبَّ أكثرَ من الطّيور. كانت قد توقّفتْ، وكانت بإشارةٍ من يدها تُطالبني بالابتعاد، كما لو أنّ الأمر كان يتعلّق بالنّسبة إليّ بالوصول إلى قمم مجهولة، ببلوغ ثلوجٍ شديدة الارتفاع. لمْ أتمكّنْ على أيّة حال من الاستفادة من فتنة تلك اللحظة ولم أستطع إلاّ أن أَلْفظَ بوضوح الكلمات التي تسمعها العجائب حين يحاول المرء القضاء على نفسه أو حين يقضي بأنّ الأوان قد آن

لئلاّ ينتظر بعْدُ نفسَه. هذه المرأة التي كانت تشبه الطّائر الذي يُسمّونه الوحيد[1] حدّ إمكان عدم التّمييز بينهما، قامتْ بِحركةٍ في الهواء متّبعةً خطّاً مُنحنياً بَهِيّاً، وكان خِمارُها يتجرجر على الأرض فيما كانتْ ترتفع.

مُدركاً أنّ الأناة ستكون مُضِرّة بي إلى حدّ بعيد، عدَلتُ عنها في الوقت الملائم وأمسكتُ الخمار من زاوية كنتُ قد وضعتُ عليها قدمي ولقد تمكنتُ من المعطف كلّه، الشّبيهِ بنظرة القاقُم حين يشعر أنّه قدْ صِيد. كان ذلك الخمار خفيفاً إلى أقصى حدّ وكان لقماشه خاصّيةٌ مميّزة، فرغم أنّه كان شفّافاً ولا بطانة له قَطْعاً، فإنّ نخاريبه الصّغبرة الخارجيّة كانت سُوداً، فيما بقيت مثيلاتُها التي كانت متّجهة نحو اللحم في لون هذا الأخير. رفعتُ باطن القماش الذي كان دافئاً ومُعَطّراً إلى شفتيّ، وكما لو أنّي كنتُ أتوقّع من هذا الرّداء لذائذَ تدوم طويلاً، فقد أخذتُه إلى بيتي قصْدَ الاستمتاع بخاصّياته المُثيرة. كانت ضَحكةُ المرأة الأشدّ إثارةً للرّغبة تُغَنّي في داخلي ـ أكان ذلك من الخمار، أكان في ذاكرتي؟ على أيّ حال، فإنّها ما إنْ تركتْ غِلافَها حتّى اختفتْ وقد قرّرتُ ألاّ أبدي بعدُ اهتماماً مخيباً للأمل بمعجزة بستان العنب وأن أنتميَ بكلّيتي إلى المعطف الموجود فعلاً والرّائع.

كنتُ قد وضعتُ على كتفيّ بعجلة ذلك الظّلَّ غيرَ الممكنِ

(١) الطّائر الوحيد: طائر إفريقي طويل الذّنب، ذو ريش أبيض وأسود، من الجوائم.

لمسُه، والذي كانت الأحاسيس الأكثر عذوبةً وحدها تمنحه شُبهة حياة. ملاذٌ! كان الأمر كما لو أنّ امرأةً رمتني بنظرة حافلةٍ بكلّ الوعود وكما لو أنّي بقيتُ سَجينَ تلك النّظرة، كما لو أنّ ضغطةَ يدٍ أخفتْ كلّ التّواطؤات الغريبة لنباتات الغابات الّتي تتعجّلُ أوراقُها الاصفرار. وضعتُ الخمار على سريري فعَلتْ منه موسيقى أجمل ألف مرّة من موسيقى الحُبّ. كنتُ أشهد حفلاً موسيقيّاً تُقَدّمه آلات متماثلة في أشكالها مع الكثيرات غيرها مع أنّ أوتارها قد تكون سُوداً، كما لو أنّها فُتلتْ من زجاج سريع الظّهور سريع الاختفاء. كان الخِمار يتحرّك قليلاً وتصبح له تموّجات مماثلة للتي لنهر في الليل، لكنْ لنهر نحزر أنّه صافي المياه بشكلٍ فظيع من دون أن نراه. كانت له انثناءة على حافة المجرى تفتح هَويساتِ قنوات حليبٍ أو أزهار مباغتةً، فكنتُ في الوقت نفسه أمام مروحةٍ من جذور وأمام شلاّل. وكانت جدران الحجرة تتغطّى بدموع تتبخّر حين تنفصل عن الجدران قبل أن تلمس الأرضيّة وكان ما يشدّها إلى تلك الجدران هو قوسُ قزحٍ شديد الصِّغَر حَدّ أنّه كان ممكناً الاستيلاء عليه بسهولة. حين كنت ألمس الخمار كان يتنهّد بوضوح وكلّما رميتُ به مجدّداً على السّرير، لحظتُ أنّه كان ينزِع إلى أنْ يُوَجّه صوبي جانبه الفاتح الذي كان مع ذلك مصنوعاً مِنْ كلّ النّجوم الممكنة. مارستُ معها الحبّ مرّاتٍ عِدّة وحينما اسْتيقظْت، بعد ساعةٍ لم تكتمل من النّوم أثناء السَّحَر، لم يكن ممكناً لي أن أضع يدي سوى على الظّلّ المتأخّر لمصباح ذي أباجورة خضراء كنتُ قد نسيتُ أن أُطفِئه.

وإذ نَفِد الزّيتُ لحظتَها، تسلّيتُ بالتّسمّع للانتفاضات الأخيرة للشّعلة، التي كانت تتباعد أكثر فأكثر، حتّى الانطفاء التّامّ الذي رافقه صوتٌ لن أنساه أبداً، صوتٌ كان ضِحكةَ الخِمار حين غادرني، مثلما غادرتني تلك التي كان الخمار ظِلَّها.

القسم الخامس والعشرون

هو من؟ إلى أين يمضي؟ ماذا أصبح؟ ماذا أصبح الصّمتُ من حوله، والجوربان الطّويلان هذان، اللذان كانَا أفكارَه الأكثرَ عِفّةً، الجوربان الحَريريّان؟ ما الذي فعله ببقع جِلده المديدة، بعينيه اللتين هما من نفط مجنون، بإشاعاتِه كملتقى طُرُق بشريّ، ما الذي حدث بين مثلّثاته ودوائره؟ كانت الدّوائر تُبذِّر الضّوضاء التي تصل إلى أذنيه، والمثلّثات كانتْ هي أصناف الرُّكُب[1] التي يُمتحَن للحصول عليها من أجل أن يذهبَ إلى حيثُ لا يذهبُ الحكماء، حين يُقال إنّه وقت النَّوم، حين يأتي رسولٌ ذو ظلٍّ أبيض ويقول إنّه وقت النّوم. أيّة ريح تدفعُه، هو الذي تُسلِّط عليه الضّوءَ شمعةُ لسانه عبر سلالم المناسبة؟ ورؤوسُ الشّمعدانات التي لعينيه، من أيّ طراز تبدو لكم في معرض خردة حديد العالَم؟ ومظاهر مُراعاته لكم، ما الذي فعلتُم بها، حين كان يتمنّى لكمْ قَبواً طيّباً وكانت الشّمس تَقُدُّ مداخن الآجُرّ الورديّ، التي كان دخَانها من موسيقَى لحمه؟ وقَبْسُه الكهرباء منكم، ناحيةَ قنال «أورك»، أليس خليقاً بإبعاد

(١) الرُّكُب: تعني، هنا، درجاتٍ يُختبَر للحصول عليها ممارسو الفروسية في الأندية بفرنسا، وهي: الرّكاب الذّهبيّ، الرّكاب الفضّيّ، الرّكاب البُرونزيّ.

عربة المُثلّجات والنُّوغا، الصّغيرةِ، التي كانت متوقّفةً تحت قنطرةٍ يعبرها المترو؟ وهو، ألمْ يرفض التّفاهم؟ ألم يمضِ في الطّريق التي تختفي في كهف الفِكْرة، ألمْ يكنْ جُزْءاً من بقبقةِ قنّينة الموت؟ هذا الرّجل ذو المآخذ التي لا تنتهي والبردِ القارس جدّاً، ما الذي كان يريدنا أن نفعل بعشيقته، حين كان يتخلّى عنها لِمحجن الصّيف؟ خلال هذه الأَمْسية التي هي مِنْ أحجار القمر والتي كان يَرجّ خلالها كأساً نصف فارغةٍ على طاولةٍ من ريح، ما الذي كان يُصيخ إليه على شَفرة الهواء، مثلما *الهنديّ*؟ لستُ أقوى منه، ليس لي أزرارٌ بسترتي، لا أعرفُ النّظام، لنْ أكون السَّباق إلى دخول المدينة ذات الأمواج الخَشبِيّة. لكن، فليُمنَح لي دمُ سنجاب أبيض إذا كذبتُ ولتجتمع الغيوم في كفّي حين أَقْشر تفّاحةً: إنّ قطع القماش البيضاء هاته تُشَكِّلُ قنديلاً، وهذه الكلمات التي تجفّ في المَرج تُشكّل قنديلاً لن أتركه يموت بخطأ زجاج يديّ المرفوعتين نحو السّماء.

من: «وميض أرض»

«Clair de terre»

والمجموعات التي أُلحِقتْ بها

(تحت هذا العنوان العامّ نفسه)

في طبعة غاليمار لسنة ١٩٦٦ كما في الطبعات اللاحقة

عُمْر

يا فجْر، وداعاً! أخرجُ من الغابة المسكونة؛ أُواجه الطّرقات، التي هي صلبان مفرطة الحرارة. أوراقٌ مبارِكة تُضِلّني. غُشت هو بلا شُقوق مثلما طاحون.

اِحفَظِ المنظر البانورامي، تنشَّق الفضاء واجْعل كُبّة الأدخنة تنحلّ آلِيّاً.

سأمضي لأختار لنفسي سِياجاً مؤقّتاً: سيتمّ العبور إن لزم ذلك من فوق شجرة البَقس. الإقليم ذو أزهار البِغونيا المُسخَّنة يُقوقئ، يُرَتّب. ولْتَحتشِد بلطف نُسورٌ مُسِنّة خلف مقاود التّنانير المُموَّجة!

أين أبحثُ عنها، مُنطلقاً من السّواقي؟ بالخطأ، وثقتُ في عِقد فقاعاتها...

عيونٌ أمام نباتات الجُلّبان ذات الأريج.

*

قُمصان رائبةٌ على الكُرسيّ. قبّعةٌ من حرير تفتتح مطاردتي بانعكاساتٍ. يا رجل... مِرآةٌ تثأرُ لك وإذْ تُهْزَم تُعاملني كلباسٍ منزوع. تعود اللحظة لِتُداعب الجسد بلمسات.

أيّتها البيوت، إنّي أتخلّص من الجدران الدّاخليّة النّاشفة. هنالك من يَرجّ! سرير رقيق يُمازَحُ بتيجان.
صِلْ إلى شِعر بَسَطاتِ السّلالم المُفْحِم.

بيتٌ غير مَكين

حارس العمارة التي تُبنى يقعُ ضَحيّةً لإخلاصه

منذ زمن طويل، اعتبرَ أهل الحيّ أنّ أسلوبَ بناء عمارةٍ بِشارع الشُّهداء كان غيرَ معقول. فلمْ يكنْ أيّ جزء من الغِماء[١] قد بدا بعد للعيان حين باشَر الصّبّاغون وواضعو ورق الجدران تزيينَ الشّقق. كانتْ صقائلُ جديدة تُنْشأ في كلّ يوم لإسناد الواجهة المترنّحة، فيما اشتدّ انزعاج العابرين الذين كان يُطَمْئنهم حارسُ البناية التي تُنشأ. فيا للحَدث المؤسف! لقد قُيِّض لهذا الأخير أنْ تكون حياتُه ثمناً لتفاؤله، فبالأمس، على السّاعة الثّانيّة عشرة والنّصف، وفيما كان العُمّال قد ذهبوا ليتغدّوا، هوى هيكل البناء، طامِراً إيّاه تحت الأنقاض.

عُثِر على طِفْل مُغمى عليه في مكان الكارثة، وسرعان ما استعاد وعيه. إنّه ليسپوار[٢] الصّغير، ذو السّبع سنوات، وقد أُخِذ إلى بيتِ أبويه دونما إبطاء. وكان قد انتابه خوف شديد ولم يلحق به ضرر يُذكَر. وقد بدأ بالمطالبة بدُرّيجته ثمّ انطلق فوقها

---

(١) الغِماء: سقف البناية.

(٢) ومعنى الكلمة، في الفرنسيّة، الأمل.

بسرعة من أعلى الشّارع. يروي الصّبيّ أنّ رجلاً يحمل عصاً كان قد هَرع نحوه صائحاً «حذار!» فعزم على الفرار. ذلك كلّ ما كان يتذكّره. والبقيّة نعرِفها. فمنقذُه، المعروف جيِّداً لدى أناس الجِوار تحت اسم غِيّوم أپولينير، كان في نحو السّتّين. وكان أيضاً قد حصل على ميداليّة الشّغل كما كان رفقاؤه يُقدّرونه.

متى سيمكننا أن نُقدّم مفتاحا لهذا اللغز؟ إنّ البحث جارٍ، بلا جدوى حتّى الآن، عن المقاول والمهندس المعماريّ المشرفين على البيت المائل. التّأثّر هائل.

المخصَّر[1] اللغزُ

قارئاتي الجَميلات،
لكثرة ما أرى منها من كلّ الألوان[2]
بطاقاتٌ زاهيةٌ، بها مناطقُ ضوءٍ وظِلالٌ، ڤنيتسيا[3]

فيما مضى كانتْ قِطعُ أثاثِ بيتي
مشدودةً بقوّة إلى الجدران
وكنتُ أُقيّدُ نفسي لأكتب:
لا يَطالُني دُوار البحر
نحن ننتمي إلى ما يُشْبِهُ ناديَ طوافٍ بالدّراجات
ذا طابع عاطفيّ
قصرٌ منيع محلّ الرّأس

---

(١) مشدّ نسوي للخصر والرّدفين.

(٢) يلعب بريتون هنا على وجود معنى آخر لعبارته التي ترجمتُها هكذا، والمعنى الآخر، الذي يتبادر للوهلة الأولى إلى الذّهن، هو التّالي: «لكثرة ما تسبّبه لي من محن».

(٣) ڤنيتسيا: مدينة البندقيّة الإيطاليّة.

وهو أيضاً **بازارُ البِرّ**

ألعابٌ مُسلّية جِدّاً لجميع الأعمار:

ألعابٌ شِعريّة، إلخ.

أمسك باريس مثلما ـ لأكشفَ لك المُستقبل ـ يدك المفتوحة

القدّ أهيف

الخروج من هنا غيرُ متاح

إلى بول إيلوار

يا حُرّيةً بلون الإنسان
أيُّ الأفواه ستتطايرُ شظايا
آجُرّاً
تحت دفعة هذا النّبات الوحشيّ المتنامي

الشّمسُ كلباً زاحفاً
تنسحب من دَرَجَ مدخل قصرٍ عائليّ باذخ

صدرٌ أزرق بطيء حيث ينبض قلب الزّمن
فتاةٌ شابّة عارية تطوّقها ذراعَا راقص وسيم ومُدرّع
مثلما القدّيس جورج[1]
لكنّ هذا كان بعد ذلك بزمن طويل

(١) الإشارة هنا إلى السّفينة الرّوسيّة المدرّعة المسمّاة «جورج المنتصر»، وقد أخذت اسمها من القدّيس جورج.

يا أطلنتيسيّين[1] ضعافاً

*

يا نهرَ نجوم
يجرف علامات الترقيم
التي بقصيدتي وقصائد اصدقائي
ينبغي عدمُ نسيان أنّ هذه الحُرّية وأنتِ
قد اكتسبْتُكما من قُرعة
وإنْ كانتْ هي التي سلبتُها لُبّها
فأيّ واحدةٍ غيركِ تصل منزلقةً
على حبلٍ من جليد

هذا المستكشِف المتشاجر مع نِمال دمِه الحُمر

إنّه حتّى النّهاية نفسُ الشَّهر من السّنة
منظورٌ يُمَكِّننا من أنْ نَحكُم
هل الأمر يتعلّق بأرواح أم لا
في ألف وتسعمائة و... مُلازِم أوّل بسلاح المُشاة
ينتظر نفسَه في مرمى زخّات بارود

*

(١) سكان أطلنتيس، القارّة الأسطورية التي يُروى ـ في الأساطير ـ أن البحر ابتلعها (ذكرها أفلاطون في اثنتين من محاوراته).

وكذلك أوّل مَن جاء
منحنياً على الشّكل البيضويّ للرّغبة الدّاخِليّة
يُحْصي هذه الأدغال التي هي بعدُ الدّودة اللمّاعة
حسبما إذا كنتم ستمدّون اليد لتُنشِئوا
الشّجرة أو قبل ممارسة الحُبّ

مثلما يعرف الجميع

في العالَم الآخر الذي لن يُوجَد
أراكَ أبيضَ وأنيقاً
لِشُعور النّساء رائحةُ ورق نبات الأقَنْثَة
يا زجاجات الفكر المتراكبة
في الأرض الزّجاجيّة
تهتاجُ هياكلُ عَظميّةٌ من زجاج
*
كلّ النّاس سمعوا بطَوْف رئة البحر[1]
ويُمكنُهم عند اللزوم
أن يتصوّروا مُعادِلاً لهذا الطَّوف في السّماء

(١) رئة البَحر: حيوان بحريّ هلاميّ، و«طَوْف رئة البحر» لوحة للرّسّام التّشكيليّ الفرنسيّ تِيُودور جيريكُو (١٧٩١ ـ ١٨٢٤).

إزاءَ الآلهة

إلى لويس أراغون

«قبل منتصف الليل بقليل قربَ رصيف الميناء،
«إذا تبعتْكَ امرأةٌ شعثاءُ فلا تتوجَّسْ منها.
«إنّها اللازورد. ليس هنالك ماتخافه من جهة اللازورد.
«ستكون هنالك مزهريّة كبيرة صهباء بين أوراق شجرة.
«بُرجُ أجراسِ قريةِ الألوان الذّائبة
«سيكون لكَ نقطةَ استدلال. خُذ وقتك،
«تذكّرْ. الحَمّةُ السّمراء التي تقذف إلى السّماء بنبْتات الفُطر
«تُحيّيك.»

الرّسالة المختومة من زواياها الثّلاث بِسمكة
كانت الآن تَعبُر في ضوء الضّواحي
كما لافِتة مَحلِّ مُرَوِّض.

والحاصل
أنّ الجميلة، الضّحِيّة، تلك التي كانوا يُسَمّونها

في الحيّ بِهرَم البُليحاء الصّغير
كانتْ لِوحْدها تَحلّ خيوطَ غيمةٍ شبيهةٍ
بكيسٍ صَغيرٍ من الشّفقة.
بعد ذلك بوقت إذْ كانت الدِّرع البيضاء
وهي منصرفة إلى الاهتمامات المنزلِيّة وسِواها
تأخذ، مرتاحةً كما لم تكن قَطّ من قبل،
الطّفلَ من القوقعة، ذلك الذي كان ينبغي أن...
لكنْ لِنلزمِ الصّمت.
كان أتونٌ يمنح
في حِضنه مجالاً لرواية فروسيّة تَخلب
اللبّ.
على الجسر، في السّاعة نفسِها،
كان النّدى ذو رأسِ القطّة يُهدهد نفسه هكذا.
وإذْ يحلّ الليل، ـ قد تكون الأوهام تبدّدتْ.
ها هم الآباء البِيض يعودون من صلاة السِّتار[1]
والمفتاح هائلُ الضّخامة مُعلَّق فوقهم.
ها هم حاملو النّبأ العظيم الرّماديّون؛ وأخيراً ها هي رسالتُها
أو شَفتُها: قلبي هو وقواق بالنّسبة للإله.

(١) هي صلاة العَصْر عند المسيحيّين. أمّا «الآباء البِيض» فهي التسمية الرّسمِيّة للمبشّرين بالمسيحيّة في إفريقيا.

لكنْ ما إن انتهت من الكلام، حتّى لمْ يبق هناك سوى جدار
يترجّح في قبر كما شراع رماديّ حالك.
الأبديّة تبحثُ عن ساعة يَد
قُبيل منتصف الليل قُرب رصيف الميناء.

الأَوْلى الحياة

أَوْلَى الحياةُ من هذه الموشورات عديمةِ السُّمْك حتّى وإنْ كانت الألوان أكثرَ صَفاءً
أَوْلى من هذه السّاعة المُكفهرّة باستمرار من هذه السّيّارات الرّهيبة التي من لهيب بارد
من هذه الأحجار النّاضجة أكثر من اللازم
أَوْلى هذا القلب الذي يُفتَح بضغطة
من هذه البِرْكة ذات الهمهمات
ومن هذه القماشة البيضاء التي تُغنّي في آن في الهواء وفي التّراب
من نعمة الزّفاف هاته التي تَصِل جبيني بجبين الخُيلاء الكامل
الأَوْلى الحياة

أَوْلى الحياة بشراشفها طاردةِ الشّر
بندوبها الباقية من عمليّات الفرار
أَوْلى الحياة أَوْلى وردةُ التّزيين هاته على قبري

حياة الحُضور لا شيء غير الحُضور
حيثُ صوتٌ يقول أأنتَ هنا وآخرُ يُجيب أأنتَ هنا
لا للأسف لستُ قطْعاً هنا
ومع ذلك فحين يحدث أن نُساند ما نجعله يموت
الأَوْلى الحياة

أوْلى الحياة أوْلى الحياةُ يا طفولةً جَليلة
الشّريط الذي يُطلقه دَرويش
يُشبه مِزلقة العالَم
ما هَمّ إنْ كانت الشّمس مُجرَّدَ حطام
إذا كان جسد المرأة يُشبهها
تحلم وأنت تتأمّل المسار على طوله
أوْ فحسب مُغمِضاً عينيك عن العاصفة البديعة التي اسْمُها يدُك
الأَوْلَى الحياة

الأَوْلى الحياة بما لها من قاعات انتظار
حين يكون المرء عالماً بأنّ الدّخول لنْ يُتاحَ لهُ أبداً
أَوْلَى الحياة من مؤسّسات العلاج بالمياه المعدنيّة هاته
حيثُ قلاداتٌ تتكفّل بالخدمة
ألأَوْلى الحياة غير المؤاتية والطّويلة

إذا انغلقت الكتب هاهنا فوق رفوفٍ أقلّ نعومة
وحينما يُصبِح الجوّ أحسنَ من الأحسن هنالك حينما يكون الجوّ حُرّيةً نَعَمْ

الأَوْلى الحياة كخلفيّةٍ للاستخفاف
لهذا الرّأس الجميل كفايةً
كترياق لذلك الكمال الذي تستدعيه وتخافُه
الحياةُ مسحوقُ التّجميلِ الإلهي
الحياة مثلما جواز سَفر لمْ يُسْتَعمل
مدينةٌ صغيرة مثلما پونتامُوسّون
وبما أنّ كلّ شيء قد قِيل
الأَوْلى الحياة

خطٌّ مَكسور

إلى ريمون روسّيل

نحن الخبز اليابس والماء في سُجون السّماء
نحن بلاطات الحبّ وكلّ الإشارات موقوفة
نحن من نجسّد رَهَافات هذه القصيدة
لا شيء يُعبّر عنّا فيما وراء الموت
في هذه السّاعة التي يلبسُ فيها الليل حذاءه النّصفيّ الأخضر ليخرج
نتقبّل الزّمن على عِلاّته
كجدار أوسط في اتّجاه جدران سجوننا
تُدخل العناكب السّفينة إلى المرسى
ما على المرء إلاّ أن يلمس ليس هنالك ما يُرى
فيما بعد ستعرفون من نحن
أعمالنا ما تزال مُدافَعاً عنها جيِّداً

لكنّه فجرُ السّاحل الأخير الجوّ يتعكّر
عمّا قريب سننقل إلى مكان آخر تَرَفنا المُضايِق لنا
سننقل إلى مكان آخر تَرف الطّاعون
نحن قليلٌ من ندى البُكْرة المُجَلّد فوق حُزم أغصان البشر
وهذا كلّ شيء.
«ماء الحياة»[1] يُضمّد الجراح في قبو صغير
من نافذة سفليّة فيه تُرى طريق مطرّزة بِحُمَّيضات كبيرة فارغة
لا تسألوا أين أنتم
نحن الخبز اليابس والماء في سجون السّماء
أوراق اللعب في العراء ليلاً
نرفع أو نكاد زاويةً من الخِمار
راتق الخَزف يشتغل فوق سُلّم
يبدو شابّاً رغم التّنازل
نقيم عليه الحداد في أثوابٍ صفراء
المعاهدة لم تُوقّع بعد
أخواتُ البِرّ يُسبِّبن
في الأفق حالاتِ فرار
ربّما نتستّر نحن في الآن نفسه على الشّرّ وعلى الخير

(١) «ماء الحياة»: مشروب روحي قويّ غالبا ما يستقطر من التين,

فهكذا تتكوّن إرادة الأحلام
يا أناساً يُمكن أنْ يستطيعوا
إنّ صرامتنا يجرفها الأسف على التّفتُّتات
نحنُ أبطال الإغواء رهيبةٌ أكثر هي نابُ الصّباحِ
جامعِ الخِرَق النابُ الموضوعُ على الأسمال المُزيَّنة بالأزهار
إذْ يقذف بنا إلى الكنوز المهتاجة ذات الأسنان الطّويلة
لا تُضيفوا أيّ شيء إلى شعوركم بالخِزي من غُفْرانكم نفْسِه
إنّه لَكافٍ أن تُسلِّحوا من أجل نهاية بلا قَعر
عيونَكم بهذه الدّموع المُضحكة التي تمنحنا السُّلوان
بطنُ الكلمات مُذهّب هذا المساء ولا شيء بقي عديم الجَدوى

عبّاد الشّمس

إلى پيار ريڤيردي

المسافرة التي تعبُر «لي هالّ»[١] عند هبوطِ الصّيف
كانتْ تمشي على رؤوس أصابعها
كان اليأس يُدحرج في السّماء نباتات اللوف الكبيرة
وفي حقيبة اليد كان حلمي الذي هو قارورة بها شيء من روح الملح[٢]
وحدها عرّابةُ الإله قد استنشقته
كانتْ ضُروبُ الخَدَر تنتشر مثلما قَطْر البخار
في حانة «الكلب الذي يُدخّن»
حيثُ كانتْ قد دخلت الموافَقة والمناقَضة
لم يكن ممكناً أن تَنظرا إلى المرأة الشّابّة إلاّ بانتقاص ومُوارَبةً

---

(١) «لي هالّ»: منطقة باريسية حافلة بضروب من الأسواق.

(٢) روح الملح: هو حمض كلور الماء (محلول مائي لغاز كلوريد الهيدروجين)، وتسميته بـ «*روح الملح*» تعود إلى جابر بن حيان.

هل كنتُ أتعامل مع سفيرةِ مِلح البارود
أو سفيرة المُنحنَى الأبيض ذي الخلفيّة السّوداء الذي نُسَمّيه فِكراً
كان حفل الأبرياء الرّاقص في ذروته
وكانت الفوانيس الورقيّة تشتعل شيئاً فشيئاً في أشجار الكستناء
المرأة التي بلا ظلّ تجثو فوق «جِسر الصّرف»[1]
بشارع «غي لوكور» لم تعد الطّوابع هي نفسها
وأخيراً فإنّ وُعود الليالي قد تمّ الوفاءُ بها
كان الحَمَام الزّاجل وقُبَل الإغاثة
تنضمّ إلى ثديَي الجميلة المجهولة
اللذين يُرمَيان بالسّهام
وهما تحت القماش المُجعّد للدّلالات ذات الكمال
كانت مزرعةٌ تزدهر في قلب باريس
وكانتْ نوافذها تنفتح على درب التّبانة
لكنْ ليس هنالك بعدُ من يقطن بها
وذلك بسبب الذين يظهرون فجأةً
إذا ما تمّ الحديثُ عنهم
ومعلوم أنّهم أكثرُ إخلاصاً من أشباح الأموات
بعضُهم مثل هذه المرأة يبدون كأنّما يَسْبحون

(١) جسر باريسي على السِّين (پون أُو شانج)، أطلقت عليه تلك التّسمية لأنّ الصّرّافين وبائعي المجوهرات كانت لهم بيوت ومحالّ حواليه.

وفي فعل الحبّ يدخل القليل من جوهرهم
إنّها تستبطنهم
لستُ ألعوبةً لأيّ قوّة حواسّية
ومع ذلك فالجُدجُد الذي كان يُغنّي في الشَّعر الذي من رماد
في مساءٍ ما قُرب تمثال إتْيينْ مارسيلْ[1]
وجّه إليّ نظرةَ تفاهم
أندريه بريتون، قال لي، مُرَّ

(١) إتيان مارسيل (توفّي سنة ١٣٥٨): كان شيخ (شهبندر) تُجّار باريس، وقد أصبح على رأس حركةٍ معارضة تطالب بالحدّ من سلطات الملك جان لوبون (جان الطّيب)، وقتله بورجوازيون باريسيون معادون لتوجّهه السّياسيّ. اكتسب اسمه هالة خاصّة لدى ناشطي الثورة الفرنسية، ومن المفارقات أنّ ماري أنطوانيت هي من نسله. وله تمثال قرب بلديّة باريس.

الشّمس مشدودةً بزِمام

إلى پابلو پيكاسو

المُثَلّجة البيضاء الكبرى في غابر الأزمنة
والتي تُوزِّع الرّعشات على المدينة
تُغنّي لنفسها فقط
وخَلفيّةُ أغنيتِها تُشبِه الليل
الذي يُحْسن إنجازَ ما يقوم به ويبكي لِمعرفته بذلك
ذاتَ ليلة إذْ كنتُ في نوبة حراسة، بَحّاراً فوق بركان،
فتحتُ بابَ مقصورة دونما صوت
وبسرعة جثوتُ عند قدَمي الأناة
لِفَرط ما كانتْ جميلةً في عينيّ ومستعدّةً للاستجابة لي
لم تكن إلاّ شعاعاً في العَجلة ذات الخمار
وكانت تستند إليّ حين يمرّ الموتى
أبداً لمْ تُضئنا الخمور المطبوخة على نار هادئة
كانتْ صديقتي بعيدةً جدّاً من الأسحار

التي تحيط بالمصباح القُطبيّ الشّماليّ
في زمن شبابي الأَلْف
لقد فتنتُ هذه الرّعّادة[1] التي تُومِض
ننظر إلى ما لا يُصدَّق وعلى الرّغم منّا نعتقد في وجوده
وإذْ باشرتُ يوماً المرأة التي أُحبّ
فها نحن نجعل الأضواء سعيدةً
إنهن يَزْرُقن بحُقن المخدّر أفخاذهنّ
الامتلاك هو ورقة نَفَل أضفْتُ إليها جزءاً رابعاً اصطناعيّاً
تُلامِسني الهواجر
مثلما العصافير التي تسقط
تحت الظِّل هناك ضوء وتحت هذا الضّوء ثمّة ظِلاّن
المدخِّن يقوم بآخر ما يلزم لإنهاء عمَله
هو يبحث عن اتّحاد ذاته مع المنظر الطّبيعيّ
إنّه واحد من ارتعاشات المُثَلّجة الكُبرى

(١) الرّعادة: نوعٌ من السّمك.

مُعاشَرة حرّة

امرأتي ذات شَعرِ نارِ الحطب
ذاتُ أفكارٍ من وميضِ بَرْق
ذات قدِّ السّاعة الرّمليّة
امرأتي ذات قدِّ ثعلبِ الماء بين أسنان النّمر
امرأتي ذات فمِ الشّارةِ فمِ باقةِ نجوم من أحدثِ حجم
ذاتُ أسنانٍ من آثار فئرانٍ بيضاء على التّراب الأبيض
ذات لسانِ العنبر والزّجاج المحكوكين
امرأتي ذاتُ لِسان القُربان المطعون
ذاتُ لسان الدّمية التي تفتح عينيها وتغلقهما
ذاتُ لسانِ حَجَرٍ وُجودُه لا يُصدَّق
امرأتي ذاتُ أهدابٍ من خطوط غليظة لكتابةٍ طفليّة
ذاتُ حاجِبَي حافةِ عُشِّ خُطّاف
امرأتي ذاتُ صُدغَين من أردوازِ سقفِ الدّفيئة[1]

(١) الدّفيئة: بناءٌ وِقَائِيٌّ مُقَبّب مِنَ الزُّجَاج أوِ الْمَوَادِّ المَطَّاطِيَّة تُسْتنْبَت بِدَاخِلِهِ نَبَاتَات لاَ تَحْتَملُ الحَرَارَة (فِي البِلاَد الحَارَّة) أوْ تِلْكَ الَّتِي لاَ تَحْتَمِلُ البُرُودَة (فِي البِلاَد البَاردة).

من بخارٍ يُجلّل زجاج النّوافذ
امرأتي ذاتُ كتفي الشّامپانيا
كتفَي نبعٍ له رؤوس دلافين تحت الجليد
امرأتي ذاتُ رُسغَي عود الثّقاب
امرأتي ذاتُ أصابع الصُّدفة وورقةِ آس القلب
ذات أصابع التّبن المُقطَّع
امرأتي ذاتُ إبطَي السَّمّور وثمار الزّان
وليلةِ عيد القدّيس يوحنّا
وشُجيرة الرِّباط[١] وعُشِّ سمكٍ ملائكي[٢]
ذاتُ ذراعي زَبدِ البحر ومَحبِس مياه النّهر
ومَزيجٍ من القمح والطّاحونة
امرأتي ذاتُ ساقي الصّاروخ
ذاتُ حركات قِطَع السّاعات واليأس
امرأتي ذات رَبلتين من لُبّ البيلسان
امرأتي ذاتُ قدمين من حروف أولى
ذاتُ رجْلي حُزمة المفاتيح ذاتُ رِجلَي جِلفاطٍ[٣] يَشرب

---

(١) شُجيرة تغرس في الحدائق عادةً.
(٢) السّمك الملائكي: جنس أسماك يعيش في المياه العذبة (الأنهار)، ويُربّى في أحواضٍ مائيّة (أكواريومات) لجماله.
(٣) الجلفاط: مَن يَسدّ حزوز السّفن وما بين ألواحها بالزفت أو نحوه.

امرأتي ذات عنق الشّعير غير المقشور
امرأتي ذات حنجرة وادي الذّهب
ذات حنجَرةِ مواعد في مجرى السّيل نفسِه
ذات النّهدَين الليليين
امرأتي ذات نهديّ الرّابية البحْريّة
ذاتُ نهدَيِّ مِذْوب الياقوت الأحمر
ذاتُ نهدَيّ شبح الوردة تحت النّدى
امرأتي ذات بَطنِ مروحةِ الأيّام إذ تنبسط
ذاتُ بطن مخلبٍ هائل الضّخامة
امرأتي ذاتُ ظَهْر الطّائر الذي يفِرّ عموديّاً
ذاتُ الظَّهْر الذي من زئبق
ذاتُ الظّهر الذي من ضوء
ذاتُ القفا الذي من حجر صقيل ومن طباشير مُبلَّل
ومن سَقطة كأسٍ شُرِب منها للتّوّ
امرأتي ذات خصر الزّورق
ذاتُ خصر النَّجفة خصرٍ من ريشِ طيور
من سُويقاتِ ريشِ طاووسٍ أبيض
خصر ميزانٍ عديم الحساسيّة
امرأتي ذات الرّدفين اللذين من الصّلصال الرّمليّ والأمْيَنْت
امرأتي ذاتُ ردفي ظَهرِ طائر التَّمّ[1]

(١) التَّمّ: الإوزّ العراقيّ.

امرأتي ذاتُ الرّدفين الرّبيعيين
ذات عضو سيف الغُراب[١] الجنسيّ
امرأتي ذاتُ العضو الجنسيّ الذي للمُثْبِر[٢] ولِخُلد الماء
امرأتي ذات العضو الجنسي الذي من طحلب ومن ملبّساتٍ قديمة
امرأتي ذات عضو المرآة الجنسيّ
امرأتي ذات العينين المترعتين دُموعاً
ذاتُ العينين اللتين لمجموعة أدواتِ لَعبٍ بنفسجيّة ولإبرةٍ ممغنطة
امرأتي ذات عينَي المَفازة
امرأتي ذات عينَين من ماءٍ يُشرب في السّجن
امرأتي ذات عينَي خشبٍ دائماً تحت السّاطور
ذات عينَي مستوى الماء مستوى الهواءِ الأرضِ النّار

(١) سيف الغراب: نبتة أوراقُها على شكل سيوف.
(٢) المُثْبِر: راسب غِريَنيّ مُحتوٍ على دقائق من معدن ثمين (الذّهب، مثلاً).

الموتُ الوَرديّ

ستُرْشِد الأخطبوطات المجنّحة لِمرّة أخيرة القارِبَ الذي صُنِعتْ أشرعتُه من هذا النّهار

الأوحد ساعةً ساعةً

إنّها السّهرة الوحيدة التي ستشعر إثْرها بأنّ الشّمس تصعد في شَعرك بيضاءَ وسوداء

من الزّنازين سيَرْشَح مشروب روحيّ أقوى من الموت

حين نتأمّله من فوق هاوية

ستتّكئ المذنّبات بحنان على الغابات قبل أن تصعقَها

وكلّ شيء سيَنتقل إلى الحُبّ الذي لا يتجزّأ

إذا ما حدث أن اختفى زُخْرفُ الأنهار

قبل أن يسود تماماً ظلامُ الليل ستُعاين

التّوقف الكبير للفِضّة

على شجرة خوخ مزهرة ستَظهر الأيادي

التي كتبتْ هذه الأبيات والتي ستصيرُ مغازلَ من فِضّة

هي أيضاً وأيضاً سُنونوات من فِضّة على نَوْل المطر

سترى الأفقَ ينفتحُ قليلاً وسيُقضَى فجأةً على قُبْلةِ الفضاء
لكنّ الخوف سيكون وقتَها قد كفّ عن الوجود
وبلاطات السّماء والبحر
ستُطيّرها الرّيحُ الأقوى منّا
ما الذي سأفعله بارتعاشِ صوتك
يا فأرةً ترقص الفالس حول النَّجَفة الوحيدة التي لن تسقط
ورافِعةً في يد الزّمن
سأُصْعِد قلوب البشر
من أجل رَجْمٍ أسْمى
سيُحوِّم جوعي مثلما ماسة نُحِتتْ أكثرَ ممّا يجب
سيَضفِر شَعر النّارِ ابنتِه
صمتٌ وحياة
لكنّ أسماء العشّاق ستُنْسَى
مثلما قطرة الدّم التي هي زهرة جميلة
في الضّوء المجنون
غداً ستكذبين على شبابكِ نفسه
على شبابك العظيم شبابك اليراعة
الأصداءُ سَتُحْكم لوحدها
شدَّ كلّ هذه الأماكن التي كانتْ
وفي الامتداد النّباتي اللانهائيّ والشّفاف

ستتجوّلين في رفقة السّرعة
التي تأتمر بأوامرها دوابّ الأَحراج
حُطامي ربّما سيُسبّب لكِ خدوشاً
دون أن تَريْهِ كما لو أنّك هويتِ على سلاحٍ طافٍ
ذلك أنّني سأنتمي إلى الفراغ المماثل لأدراج
سُلَّم تُسمّى حركتُه بِصعوبة أكيدة
إليكِ بالعطور العطورِ الممنوعة من الآن
حشيشةُ الملاك[1]
تحتَ الزَّبد الأجوف وتحت خُطاك التي ليستْ خُطىً
أحلامي ستكون قَطعِيّة وغيرَ ذاتِ جَدوى
كما صوت جفون الماء في الظِّل
سأَنفُذ إلى أحلامك لأسْبِر فيها عمقَ دموعك
نداءاتي ستتركك متردّدة بلطف
وفي القطار المُشَكَّل من سلاحفِ جليدٍ
لن يكون عليكِ أن تقرعي ناقوس الخطر
ستصِلين وحيدةً إلى ذلك الشّاطئ المعزول
حيثُ نجمةٌ ستحُطّ على أمتعتك التي من رمل

(١) حشيشة الملاك: نبتة ذاتُ أريج.

فِعْل الكينونة

أعرف اليأس في خطوطه العريضة. لا أجنحةَ لليأس، وهو لا يجلس ضرورةً في المساءات إلى مائدة رُفِعتْ عنها الأطباق، بِرصيفِ مقهىً مُطِلّ على البحر. إنّه اليأس وليس عودةَ كمٍّ من الأحداث الصّغيرة مثلما بُزور تُغادر مع حلول الليل ثلماً صوبَ آخر. إنّه ليس طُحلباً على حجر ولا كأساً ينبغي شُربها. إنّه سفينة يُخَرّقها الثّلج، إن لاءمكم هذا التّعبير، مثل طيور تَهوي وليس لِدَمها أدنى كثافة. أعرف اليأس في خطوطه العريضة. شكلٌ شديد الصِّغَر يَحدُّه حَلْيٌ لِلشَّعر. عِقدُ لآلئَ لن يُمْكننا أن نعثرَ له على مِغلاق ووجوده أوهى من أن يكون معلّقاً بخيط واهن، هذا هو اليأس. ما تبقّى لا نتحدّثُ عنه. لن نكون قد انتهينا من أنْ نيأس إذا ما بدأنا. أنا أيْأس من الأباجورة نحو الرّابعة، أيأس من المروحة زُهاء منتصف الليل، أيأسُ من سيجارة المحكوم عليهم. أعرف اليأس في خطوطه العريضة. ليس لليأس قلب، اليد تبقى دائماً عند اليأس مبهورة الأنفاس، عند اليأس الذي لا تَنمّ لنا مراياه أبداً عمّا إن كان قد قضى نحبه. أعيش على هذا اليأس الذي يخلب لبّي. أُحبّ هذه الذّبابة الزّرقاء التي تطير في السّماء في ساعة دندنة النّجوم. أعرف في خطوطه العريضة

اليأس المرفوق بحالات اندهاش طَويلة واهية، اليأس بدافع الأَنفة، اليأس الذي يُسبّبه الغضب. أستيقظ في كلِّ يوم مثل سائر النّاس وأَمطّ ذراعيّ على امتداد ورقٍ حائطيّ مُزَيَّن بالزّهور، ولا أتذكّر شيئاً ودائماً بيأس أكتشفُ أشجارَ الليل المقطوعةَ الجذور. هواء الغرفة جميل مثل مِقرعتي طبل. إنّه طَقسُ طَقسٍ. أعرف اليأسَ في خطوطه العريضة. فهو كريح السّتارة التي تَمدّ لي العصاة[1]. هل ثمّة تصوّر ليأس كهذا! هيّا لإخماد النّار! آه، إنّهم سيأتون مُجدّداً... النّجدة! ها هم يسقطون في الدَّرَج... وتسقط إعلانات الصّحف ويافطات الإشهار الضّوئيّة على امتداد القنال. كومةَ الرّمل، اغرُبْ من هنا، يا كومةَ الرّمل! في خطوطه العريضة، ليس لليأس أهمّية. إنّه عمل شاقّ لأشجارٍ ستُكَوّن غابةً من جديد، إنّه عملٌ شاقّ لنجوم سيؤدّي إلى يومٍ أقلّ، إنّه عملُ شاقّ لأيّام أقلّ ستَنشأُ عنه مُجدّداً حياتي.

(١) ممكن أن نترجم العبارة أيضا: تمدّلي عصاة الإنقاذ، أو: تُسعِفني، أو: تمدّ لي الزانة...

ما يُكتبُ يتبدّد[1]

ساتانُ الصّفحات التي تُقلَّب في الكتب يَلفُّ جيّداً امرأةً جميلةً
إلى حدّ أنّ المرء حين لا يقرأ يتملّى هذه المرأة بحزن
دون أن يجرؤ على التّحدّث إليها دون أنْ يجرؤ
على أن يقول لها إنّها في غاية الجمال
وإنّ ما سنعرفه هو بلا ثمن
هذه المرأة تمرّ من دون أن تُلْمَح ومن حولها صَخبُ أزهار
أحياناً تلتفتُ في المواسم المطبوعة
وتسأل عن السّاعة أو تتظاهر بالتّحديق إلى المجوهرات وِجاهاً
مثلما لا تفعل الكائنات الواقعيّة
ويحتضر العالَم يحدثُ تقطُّع في حلقات الهواء
شقٌّ في مكان القلب
صحف الصّباح تجلب مُغنِّيات
لأصواتهنّ لونُ رمل الضّفاف الليّنة والخطيرة
وأحياناً تفتح صحفُ المساء ممرّاً لفتيات صغيراتِ السّن جِدّاً

(١) أو: المكاتيب تتبدّد.

يَقُدْنَ حيواناتٍ مُقَيّدة
لكنّ الأعجب هو في فُرَج بعض الحروف
حيثُ تُخَرِّبُ أيادٍ أشدّ بياضاً من قُرون النّجوم
عُشَّ خطاطيف بيضاء
من أجل أن يسقط المطر على الدّوام
إلى انخفاضٍ شديد شديد
لا تعود الأجنحة تستطيع أن تخوض فيه
أيادٍ يتمّ الصّعود منها إلى أذرعٍ خفيفةٍ
حَدَّ أنّ بُخار المروج في تواشجاته الدّاخليّة الرّشيقة
فوق المستنقعات هو مرآتُها غير المتميّزة بالكمال
إلى أذرعٍ لا مفاصل تربطها بشيءٍ
سوى الخطر الاستثنائيّ لجسدٍ مُقيَّضٍ للحُبّ
البطنُ بِذا الجسد يستثير الآهات البيّنة
من قِبَل الأدغال المليئة بالأشرعة
وليس له من سِمة أرضيّة سوى الحقيقة الهائلة المُثَلَّجة
لزلاّجات النَّظرَات على الامتداد
الأبيضِ كلّيةً
لِما لنْ أراه بعد
بسبب عِصابة العينين العجيبة
التي هي عِصابتي في لعبة استغمايةِ الجراح

الغابة في بَلْطة

ثمّة من مات للتّو لكنّي حَيّ ومع ذلك لمْ تعدْ لي روح لم يعدْ لي سوى جسد شفّاف بداخله ترتمي حمائم شفّافة على خَنجر شفّاف تُمسك به يدٌ شفّافة. أَشهد الجهد في كامل جماله، الجهد الواقعيّ الذي لا إمكان لتقييمه بالأرقام، قبل ظهور النّجمة الأخيرة. الجسم الذي أسكنه مثلما كوخ وبمقابل مُحدّد سلفاً يمقت الرّوح التي كانتْ لي والتي تطفو في البعيد. إنّها ساعةُ الانتهاء من هذه الثّنائيّة التي كثيراً ما انصبَّ عليّ اللوم بسببها. لقد انتهى الزّمن الذي كانتْ فيه عيون من دون ضوء وبلا خواتم تمتَحُ الكَدر من بِرَك اللون. لم يَعد هنالك لا أحمر ولا أزرق. الأحمر ـ الأزرق المُجمَع عليه يتلاشى بدوره مثلما واحد من طيور أبي الحنّاء داخل سياج الإهمال. ثمّة من مات للتّوّ، ـ ليس أنتَ ولا أنا ولا هُم تحديداً لكن نحنُ جميعاً، إلاّ أنا الذي أستبقي رمقاً من حياة بطرق كثيرة: فما أزال أشعُر بالبرد، على سبيل المثال. كَفى. هاتوا ناراً! ناراً! أو أحجاراً لأَفلِقها، أو عصافير لأَتْبعها، أو مِشدّاتٍ ألفّها بِشدّة على خصور النّسوة الميّتات، فينبعثن، ويُحْبِبنني، بِشُعورهنّ المتعِبة ونظراتهنّ المتعَبَة! ناراً، كي لا نموت من أجل خوخات منقوعة

في مشروب كحوليّ، ناراً لئلاّ تكون قُبّعة القشّ الإيطاليّة مُجرّدَ مسرحيّة! آلو، الخَضير! آلو، المَطر! إنّي النّفَس اللاواقعيّ لهذه الحديقة. التّاج الأسود الموضوع على رأسي هو صرخة غربان مهاجرة لأنّه لم يكن هنالك حتّى الآن إلاّ مدفونين أحياء، قليلي العدد ولا شكّ، وها أنا أوّلُ *مُهَوّىً* ميت. لكنّ لي جسداً كيْ لا أهجره قطْعاً، وكي أُجبِر الزّواحف على الإعجاب بي. يدان داميتان، عينا نبتة هَدَال، فمُ ورقة ميّتة ومن زجاج (الأوراق الميتة تتحرّك تحت الزّجاج؛ إنّها ليست حمراء إلى الحدّ الذي نَحْسب، حين تعرض اللامبالاة طرائقها المفترسة)، يدان لاقتطافك، سعترَ أحلامي الدّقيق، إكليلَ جبلِ شحوبي الأشدّ. لم يعد لي ظلٌّ أيضاً. آه يا ظِلّي، يا ظِلّي العزيز. عليّ أن أكتب رسالة طويلة لهذا الظّلّ الذي فقدتُه. سأبدأ بِ: ظِلّي العزيز. ظِلّي الحبيب. حقّاً. لم تعد هنالك شمس. لم يعد هنالك إلاّ واحد من المَدارَين. لم يعد هنالك إلاّ رجل من بين كلِّ ألف. لم تعد هنالك إلاّ امرأة وسط غياب الفكر الذي يَسِم بالأسْود الخالص هذه الحقبة اللعينة. هذه المرأة تمسك باقةً من زهورِ الخالدة لها شكلُ دَمي.

تَيَقّظ

بُرج سانْ جاكْ المترنّح
كما إحدى نبْتات عبّاد الشّمس
يهوي بجبينه أحياناً ليرطمَ نهر السِّينْ
وظِلُّه يتسلّل بلا حِسٍّ ويندسّ بين سُفن الجَرّ
في هذه اللحظة أتوجّه على رؤوس أصابعي أثناء نومي
نحو الغرفة حيثُ أنا ممدّد
وأشعل فيها النّار
لئلاّ يبقى شيء من ذلك الرّضى الذي انتزعوه منّي
هكذا تُخلي قطع الأثاث أماكنها لحيواناتٍ من نفس حُجومها
تنظر إليّ بروحٍ أخويّة
أُسُودٌ في ألبادها
تُنهي كراسيُّ صنعَ نفسها
سمكة قِرش تُدمج في بطنها الأبيض آخر ارتعاشات الشّراشف
في ساعة الحُبّ والأجفان الزّرقاء

أرى نفسي أحترق بدوري أرى هذا المخبأ الفخم لأشياء عديمة القيمة

وقد كان هو جسدي

تُنقّب فيه طيورُ أبي منجل النّارية بمناقيرها

وحين ينتهي كلُّ شيء أنفذ غيرَ مرئيٍّ إلى سفينة نوح

غيرَ عابئ بعابري الحياة الذين يجعلون خطاهم المجَرجَرة

تطِنّ إلى أبعد الأمداء

أرى حَسَك الشّمس

عبر زعرور المطر

أسمع القماش البشريّ يتمزّق مثلما ورقة كبيرة

تحت ظفر الغياب والحضور المتواطئين

كلّ الأنوال تذبل ولا يبقى منها غير قطعة دَنتِلاّ مُعطَّرة

قوقعةٌ من دنتلاّ لها الشّكل الكامل لنهد

لم أعد ألمس إلاّ قلب الأشياء أنا أمسك الخيط

فرع قُرّاصة يدخل من النّافذة

المرأة ذات الجسد الذي من ورق التّزيين
سمَكة[1] المداخن، النّهريّة الحمراء
التي تتشكّل ذاكرتُها من كثرة من المساقي الصّغيرة
المجعولة لسُفن في البعيد
والتي تضحك مثلما قليل من الجمر مُركَّبٍ في الثّلج
وترى نفسها تزيد وتنقص ليلاً على خطى أكّورديون
دِرعُ الأعشاب ومقبض باب الخناجر
تلك التي تُنْزل شذرات الذّهب من على أبي الهول
تلك التي تجعل لكرسيّ الدّانوب عجلات صغيرة
تلك التي يتناحر من أجلها المكان والزّمان في المساء
حين يترنّحُ حارسُ عينها مثلما جنّيّ صغير
ليست الهدفَ من الصّراع الذي تخوضه فيما بينها أحلامي
العصفورُ القابلُ للانكسار

---

(١) في الأصل: «كُمهة المداخن، الحمراء»، والكمهة: واحدة الكُمه، وهو سمك نهريّ من فصيل الشّبوطيّات.

الذي تَمدّه الطّبيعة على الأسلاك التّلغرافيّة للجذبة
وينقلبُ في البحيرة الكبيرة لأعدادِ نشيده
إنّها القلب المزدوج للسّور الضّائع
الذي تتشبّث به جرادات الدّم
التي تسحب دوماً رفقتها
مظهرَ المرآة الذي هو لي ويديّ يدَي الصَّدع
وعينَيِّ اليسروع اللذين لي وشَعرِي شَعر الحيتان السّوداء الطّويلة
الحيتان المختومة بشمع متلألئ وأسود

النّجدة الكبرى القاتلة

تمثال لُوتريامون
ذو القاعدة التي من أقراص كِينِين
على أرضٍ قروية جرداء
يتمدّد مؤلّف «القصائد»[١] على بطنه
وبقربه الحِرذون المفترس المشبوه يتولّى الحراسة
أذنه اليُسرى المطبقة على الأرض هي علبةٌ مُزجّجة
يَشغَلها بَرق لمْ يَنس الفنّان[٢] أنْ يجعل فوقه
الكرة ذات الزّرقة السّماويّة التي في هيئة رأسٍ معمّم
طائر الإوزّ الذي من مونتفيديو[٣]
والذي يبسط جناحيه المستعدّين دوماً للخفق
حين تكون الغايةُ اجتذابَ طيور إوزّ أُخرى من الأفق
يفتح على الكون الزّائف عينين لوناهما مختلفان

---

(١) «القصائد»: من أعمال لوتريامون.
(٢) أي ناحت التّمثال.
(٣) عاصمة الأورغواي، وبها وُلِد لوتريامون.

إحداهما من سُلفات الحديد فيما فوق الكرْم المعترش لأهدابها
والأخرى من وَحْل له التماع الماس
إنّه يَرى مُسدّسَ الأضلاع ذا القِمع حيثُ عمّا قريب ستنقَبِض الآلات
التي يستبسل الإنسان في تغطيتها بالضّمادات
إنّه يؤجّج بشمعة الرّاديوم التي له أعماق البوتقة البشريّة
وهو بعضو جنسي من ريش ومخّ من ورقٍ مُزيّت
إنّه يرأس الاحتفالات التي هي ليليّة مرّتين
وغايتُها إذا حذفنا النّار أنْ يُحِلّ قلبَي الإنسان والطّائر
الواحد محلّ الآخر
مُتاحٌ لي الدّنُوّ منه باعتباري مُصاباً باختلاجاتٍ
النّساء الفاتنات اللواتي يُدخلْنني إلى المقطورة المُنجّدة بالورود
حيثُ سريرٌ مُعلّق صنعنَه لي بعناية من شُعورهِنّ
محفوظٌ لي منذ الأزل
يَحثُثْنني على الاّ أترك البرد يصيبني من قراءة الجريدة
يبدو أنّ التّمثال الذي على مقربةٍ منه يَصِل نَجيلُ أطراف أعصابي
إلى مقصده يُدوزَن كلّ ليلةٍ مثلما بيانو

قصيدة[1]

أحلم أراكِ تتراكبين مع ذاتك إلى ما لا نهاية
أنتِ جالسةٌ على مقعد المرجان الطّويل ذي العُلوّ
أمام مرآتكِ التي هي دائماً في الطّور الأوّل من دَورانها
واضعةً إصبعين على الجناح المائيّ للمشط
وفي ذات الوقت
تعودين من سَفر تتباطئين وتبقين الأخيرة في المغارة
تَرشَحين بروقاً
لا تتعرّفين عليّ
إنّك ممدّدة على السّرير تستيقظين أو تَغْفُوين
تستيقظين حيثُ غفوتِ أو في مكان آخر
أنت عاريةٌ كرةُ البيلسان تنقذف مجدّداً
ألف رصاصة من بيلسان تُدَوّي فوقك
خفيفةً حدّ أنّها في كلّ لحظة متجاهلةٌ مِن قِبلك

(١) القصيدة من مجموعة: هواء الماء (١٩٣٤)، وهي بلا عنوان في الأصل، وكذلك القصيدة التي تليها.

نفَسك دمُك أُنقِذا مِن الشّعبذة الجنونيّة للهواء
تقطعين الشّارع السّيارات التي أُطلِقتْ صوبك
لم تعدْ سوى ظلال نفسِها
ونفْسَ
الطّفلة
عالِقةً في ممرٍّ متحرّك لشذرات الذّهب
تتّخذين حبلاً لتتقافزي عليه
وقتاً طويلاً بما يكفي لتظهر في أعلى الدَّرج اللامرئيّ
الفراشة الخضراء الوحيدة التي ترتاد قِمم آسيا
أُلامِس كلَّ ما كان أنتِ
وفي كلّ ما لا يزال بلا شكٍّ كذلك
أسمعُ الصفير المُنغّم
لأَذرُعكِ التي لا تُعدّ
أذرعكِ الثّعبانُ الأوحد على كلّ الأشجار
أذرُعكِ التي في وسطها تدورُ بلّورةُ دوّارةِ الرّيح
عينُ «سيفاس»[1] الحيّة التي هي لي

(١) سيفاس: مدينة تركية بها عيون مياه معدنيّة يقصدها المصابون بأمراض جلديّة...

قصيدة[1]

النّسرُ الجِنسيّ جَذلان إنّه سيجعل للأرض لون الذّهب مرّةً أخرى
جناحه النّازل
جناحه الصّاعد يهزّ بصورة لامحسوسة أكمامَ النّعناع المُفَلفل
وكاملَ لباسِ المياه الخفيف الفاتن
الأيّام معدودة بوضوح شديد إلى حدّ
أنّ المرآة تركتْ مكانها لكثير من أوراق السّرخس
لا أرى من السّماء إلاّ نجمة
لم يعد هنالك من حولنا سوى الحليب الدّائر
في مساره الإهليلجي المُدوِّخ
ومنه ينتفض أحياناً الحدسُ الرّخو ذو الجفون
التي من عقيق به أشكالُ عيون
ليغرز طرف شمسيّته في وَحْل الضّوء الكهربائيّ
وإذّاك تُلقي امتداداتٌ بمراسيها
وتنبسط في مُؤخَّر عَينِي المغلقة

(١) القصيدة بلا عنوان في الأصل.

جبالَ جليد عائمة تُشعّ بعادات كلّ العوالم التي ستأتي
مولودةً من جزء صغير منكِ
من جزء صغير مجهول ومُثلّجٍ يُقلِع مُحلّقاً
وجودُك الباقةُ الهائلة التي تنفلت من يديّ
هو مربوطٌ بشكلٍ غير وثيق ويَحفر الجدران يَبسُط سلالم البيوت
وينزع عن نفسه أوراقه في واجهات الشّارع
أتسقّط الأخبار أمضي باستمرار لأتسقّط الأخبار
الصّحيفة هي اليوم من زجاج
وإنْ كانت الرّسائل قد كفّت عن الوصول
فذلك لأنّ القطار قد أُكِل
الحَزّة الكبيرة للزّمرّدة التي توَلّدتْ منها أوراقُ الشّجر
قد اندملتْ نهائيّاً ومناجِر الثّلج الذي يخطف الأبصار
ومقالع اللحم تَطنّ لِوحدها عند أوّل شعاع
مُنقلباً في هذا الشُّعاع
أنتزع بصمةَ الموت والحياة
من الهواء السّائل

من: «علامة صاعدة»

«Signe ascendant»

وسائر ما ألحق بطبعاتها الحديثة من قصائد

عالَم

في قاعة الاستقبال عند السّيدة دي ريكوشيه
المرايا هي من حبّات ندىً معصورة
المنضدة الصّغيرة مُشكَّلة من ذراع وسط اللبلاب
والسّجادة تموت مثلما الأمواج
في قاعة الاستقبال ببيت السّيدة دي ريكوشيه
شايُ القمر يُقدَّم في بيوض السُّبَد
السّتائر تطلق العنان لذوبان الثّلوج
والبيانو الذي تراه العين جِدَّ بعيد
يهوي كتلة واحدة
وقد أصبح من صَدف
في قاعة الاستقبال لدى السّيدة دي ريكوشيه
مصابيح واطئة تحت أوراق شجرةِ حَوْر
تُزعج المِدخنةَ ذات حراشفِ أمّ قِرْفة[1]

(١) أمّ قرفة: حيوان من آكلات النّمل، ذو حراشف.

حين تضغط السّيدة دي ريكوشيه الجرس
تنشقّ الأبواب كي تفتح الطّريق
لخادمات على أراجيح

البئر المسحورة

من الخارج بدأ الهواء يبرد
فالنّار انطفأتْ تحت غلاّية الآجام الزّرقاء

الطّبيعة تبصق في علبتها الليليّة الصّغيرة
فُرشاتُها عديمةُ السُّمك بدأتْ تجعل حَسَك الأدغال والسّفن يلتمع

المدينة ذات الخيوط الطّويلة
المنتظمة فيها يراعات ضخمة
تصعد إلى حدّ أنّها تضيع
على امتداد درابزينِ أغنياتٍ يدور حول نفسه
في الأزقّة المقفرة

حين تتقلّبُ في السّماء واحدةً إثر أُخرى الأشكالُ المهجورة
التي كان يتمّ فيها لَعِبُ الحَجْلة

يكون لي في أقصى قعر حفرة
بين السّرخسات التي يدعسها النَّظر
موعدٌ مع سيّدة البُحيرة

أعرف أنّها ستأتي
كما لو أنّني غفوت تحت شُجيرات فُوشْيا[١]
هي هاهنا
في مكان نَجفةِ أسفلِ بيتِ الغيوم

بئر مصْعَد ترتطم بِجدرانها فتَتناثرُ في حُزَمٍ
ملابسُ داخِليّة أنثويّة
تزداد اخْضِراراً

إليّ

إليّ بزهرةِ غاز الغَريز
إليّ برقّاصِ الضّغط[٢] بالرّوسيت[٣] البيضاء

(١) الفوشيا: نبتة، وأحياناً شجيرة، مشهورة بجمال زهرها.
(٢) رقّاص الضّغط: تمثال صغير معلّق في كُرة مجوَّفة، يهبط ويصعد في وعاء مماوء ماءً حسب مستوى الضّغط على الغشاء المطّاط الذي بُغَطّي الوعاء.
(٣) فطيرة مُعطّرة.

بالحَزُّورة المقدّسة الكبيرة

أحسنَ ممّا هي في تيار المياه تكون أوفيليا في باليهِ ذباب مايو
ها هي في انعكاس المِطمار[١] تلك التي أُطْلِعتْ على سِرّ المناجذ

أرى نعل غبار الماس أرى الطّاووس الأبيض
الذي ينشر ريش ذنبه خلف دارئة[٢] صَهد المدخنة
النّساء اللواتي نرسمُهنّ بالمقلوب
هنّ اللواتي لم نرهنّ مِنْ قَبل

بسمتُها وُجِدَت ليُكَفّر عن جناياتهم الغوّاصون على اللؤلؤ
ذوو الرّئات التي أصبحت من مرجان

إنّها ميدوزا واضعةً أُرصوصةً
تلك التي يدور تمثالها النّصفيّ حول محوره خلف الواجهة الزّجاجيّة
جانبيّاً ألامِس نهديها ذَوَي الحلمتين المجنّحتين

(١) المطمار: خيط يُمدّه البنّاء على البِناء، ويُبنى عليه.
(٢) دارئة صهد المدخنة: شيء أو قِطعة أثاث تحمي من صَهد جمر المدخنة.

صوتي لنْ يصل إليها إنّهما عالَمان
بَلْ
لا يُجدي نفعاً أنْ تُرمَى في بُرجها رسالة مفتوحةٌ عن آخرها
لها أظافر من صمغ

لقد غَلّوا يَديّ بالأصفاد البرّاقة التي كانوا قد قيّدوا بها پيتر إيبّستون[1]

أنا بنّاء سطوح أُصيبَ بالجنون
أقتلع من سقف البيت صفائح كاملة وسينتهي بي المطاف
إلى إسقاطه برمّته
لأرى بصورة أحسن مثلما يصعد عمود الماء من البحر
لأتدخّل في معركة الأزهار
عندما تتجاوز فخذٌ الطّرف الأعلى من علبة جواهر
وتُدْلي بدلوها دوّاسة الخطر

الشّيء الجميل الذي اختُرِع
ليَحلّ محلّ السّاعة الجداريّة المُصوِّتة ذات الأرجوحة

(١) پيتر إيبّستون: شخصيّة في فيلم بهذا العنوان، رومنطيقيّة المزاج ويُحكم عليها بالسِّجن المؤبّد.

التي تُشير إلى الزّمن المتوقّف

البلّورات المتدلّية من النّجفة المركزيّة للأرض
أنتِ يا ساعتي الرّمليّة التي من ورود
أنتِ التي لن تصعدي مجدّداً إلى السّطح
أنتِ التي تنظرين إليّ دون أنْ تَريْني في حدائق الإثارة الخالصة
أنتِ التي تبعثين صوبي قبلةً من بوّابة قطار يَبتعد مُسرعاً

خِضَمّ الهامش

إلى پيار مابيْ

لا أُحبّذُ وجود أتباع
لمْ أقطن أبداً بالمكان المُسَمّى «لاغْرينْوِيِّيرْ»[1]
قنديلُ قلبي يَنسلّ وسرعان ما ينتابه الفُواق
إذ يقترب من الباحات الخارجيّة للكاتدرائيات

لمْ أكنْ قَطّ ميّالاً سوى لما لا يُحاذر
لِشجرة اختارها الإعصار
للسفينة ذات الالتماعات التي يُعيدها إلى السّاحل بحّار بلا تجربة
لصرحٍ ليس به سوى نظرةِ عين الحِرذون
التي لا تطرف وكَثرةٍ من الإيراقات

(١) لاغْرينْوِيِّيرْ: مؤسسة شهيرة كان يمارس فيها التجذيف وتقدَّم حفلات راقصة كما كانت مطعماً، وكان يرتادها «عِلية القوم» من بورجوازيّي باريس. وقد أُزيلت من الوجود في أواخر عشرينيّات القرن العشرين نتيجة أشغال توسيع مجرى نهر السّين.

لم أرَ عكسَ الآخرين سوى نسوة كنّ في شنآن مع زمنهنّ
أو أنّهنّ كنّ يَصعدن نحوي تَدفعهنّ أبخرةُ هاويةٍ

أو أنّهن غائباتٌ منذ أقلّ من دقيقة
ويسبقنني ماضياتٍ بخطى العازفة على السّنطور
في الشّارع لدى أدنى ريح تحمل فيها شعورهنّ المشعل

من بينهنّ تبرز هذه الملكة البيزنطيّة
ذات العينين اللتين تَعبران من كلّ هذا البُعد ما وراءَ البحار
حَدّ أنّني لا أكون مرّةً في حيّ «لي هالّ» حيثُ ظهَرتْ لي
إلاّ وتتعدّد إلى أبعد ممّا يُدركه البصر
في مرايا عربات باعة البنفسج

مِن بينهنّ تبرز طفلةُ الكهوف
ضَمَّتُها تُضيف الحياةَ كلّها إلى ليل الإسكيمو
حين يكون ضوء السَّحر مبهورَ الأنفاس
ينقش في الزّجاج رنَّتَه[1]

(١) الرّنّة: حيوان ثدييّ من فصيلة الظَّبي يوجد في القطب الشَّمالي.

من بينهنّ الرّاهبة ذات شَفَتي الواعظة
في الحافلة من كرُوزونْ إلى كيمپ
صوتُ أهدابها يُزعج طائر القُرقف ذا البقع السّوداء
والكتابُ ذو المغلاق سينزلق من فوق ساقيها المتصالبتيْن

من بينهنّ تبرز حارسةُ الباب العالي[١] القديمة الصّغيرة المُجَنَّحة
عبر الباب العالي الذي تتسلّلُ منه التّخمينات بين مركبات يجرّها رجال
تَدلّني على أكياس مصفوفة على امتداد السِّينْ وعليها تسجيلات بكتابة رمزيّة
إنّها واقفة على بيضة اللوتس المكسورة لِصْقَ أذنِي

من بينهنّ تبرز تلك التي تبتسم لي في قعر حَوض «بِيرّ»[٢]
حينما يحدث لها من على جِسْرٍ بمارتيكْ[٣]
أنْ تتتبّع مُستندةً إليّ الطّواف الدِّينيّ البطيء للقناديل المضطجعة
لابسةً فستان الاحتفال الرّاقص للميدوزات التي تُدَوِّم في النّجَفة
هي التي تتظاهر بأنّها لا تَدعمُ كلّ شيء في هذا الاحتفال

---

(١) الباب العالي: باب مقرّ حكومة السّلطان بتركيا في العهد العثمانيّ.
(٢) حوضُ بيرّ: امتدادٌ مائيّ مجاور للبحر الأبيض المتوسّط، يوجد غربَ مارسيليا.
(٣) مارتيگ: مقاطعة فرنسيّة محاذية لِحوض بيرّ.

بأنّها تجهل ما لهذا التّتبّع اليوميّ في الاتّجاهبن
من طابَع احتفاليٍّ بِتحقُّق نَذْر

من بينهنّ

أعود إلى ذئابي إلى طرقي في الإحساس
بالتّرف الحقيقيّ
ذلك أنّ الأريكة المغلّفة بالسّاتان الأبيض
تحمل نجمة التّمزّع

لا بدّ لي من أمجاد المساء الذي يضرب بمواربةٍ على غيضة أشجار الغار التي لَكم

الصّدفات العملاقة للمنظومات المُشيَّدة بتمامها والتي تقدّم نفسها في القرى في هيئة غير منتظمة

بسلالمها الصَّدفيّة وبانعكاسات ضوئها التي لزجاج القناديل المتقادم
لا تثير اهتمامي إلاّ بالنّظر إلى النّصيب من الدُّوار

المُقَيّض للإنسان الذي وصل أحياناً من أجل التّكتّم التّامّ على الشّائعة الكبيرة
إلى حدّ كَسْر دوّاسة الآلة الموسيقيّة

آخذ ما يعود إليّ من فجوات الصّخر هنالك حيثُ البحر
يدفع بالكرات الحاويةِ أحصنتَه التي تركبها كلابٌ تعوي
هنالك حيثُ الوعي لم يعد هو الخبز في معطفه المَلَكيّ
بَل صار القُبلة التي هي وحدها تُعيدُ شحن نفسِها من جَمرتها

وحتّى كائناتٍ ماضية في طريق ليست طريقي
بل تُعاكسها حدَّ إمكان عدم التمييز بينهما

إنّها تتجلّل بدءاً برمل خرافة الأصول
لكنّ الريح هبّت فجأةً والدّرابزونات بدأت تهتزّ بشدّة
من حول كُوَيراتها قُزحيّةِ الألوان
وبالنّسبة إليهم كان ذلك الكونَ مقذوفاً به من النّافذة
دون مزيد من الاحتراس ممّا لن ينتهي أبداً
يتبادل الليل والنهار وعودهما
أو يعثر العاشقان في الزمن الناقص على خاتم نبعهما ويُضيعانه
أيتها الحركة الملموسة الشّاسعة التي يتمكّن من خلالها الآخرون

من أن يكونوا من ذَوِيَّ
وحتّى هؤلاء الذين يلفّهم إذ تُقهقه الحياة قُماشٌ غليظ
هؤلاء الذين تُسبّب نظراتهم خروقاً حمراء في أدغال شجر التّوت
يستدرجونني يستدرجونني إلى حيثُ لا أعرف أن أمضي
بعينين معصوبتين أنتَ تحترق تبتعد تبتعد
وبأيّما طريقة قاموا بضربتهم فلوازم مائدة طعامهم هي في بيتي

يا پيلاجْ[1] الجميل المتوّج بالهَدَال رأسك مرفوع فوق كلّ تلك الجباه المحنيّة

يُواكيم دي فْلور[2] يقتاده ملائكة رهيبون
ما زالوا في بعض السّاعات من أيامنا هاته يُطْبِقون أجنحتهم على الضّواحي
حيثُ تَسيح المداخن داعيةً إلى حلّ أقرب من حيثُ الرّقة
من أبنية جِيّوتو[3] الوردية السّباعية الزّوايا
المعلّم إيكّارتْ معلّمي في نُزُل العقل

(١) پيلاجْ (أو: پيلاجيوس) ـ (٣٥٠ ـ ٤٢٠)، راهب فرنسي من بريتاني، اعتبرت الكنيسة، سنة ٤١٨ أنّه ذو أفكار هرطقيّة.
(٢) راهب اتُّهِم أيضاً بالهرطقة.
(٣) جيوتو دي بوندوني (توفي سنة ١٣٣٧ بفلورنسا. رسّام ونحات ومعماريّ إيطالي. دعا إلى النزعة الإنسانية ومهّد لحركة النهضة.

حيثُ هيجل يقول لنوفاليس بوجوده[١] لدينا كلّ ما يلزم ثمّ ينصرفان
وبإضافة الريح إليهم[٢] يكون لديّ كلّ ما يلزمني

جانسينيوس نعم كنتُ أنتظرك يا أمير الصّرامة
لا شكّ أنّك مقرور

الوحيد الذي أفلح في حياته ألاّ يكون سوى ظِلّ نفسه
ومن غُباره رُئِيَتْ زهرة التّقبّض وهي تتصاعد مهدّدة كلّ المدينة باريس[٣] الشّمّاس

الجميلة المغتصَبة المنقادة المُفحِمة لاكاديير[٤]

وأنتم أيها السيدان بونجور[٥]

---

(١) أي العقل.
(٢) أي هيجل ونوفاليس والعقل.
(٣) باريس الشّمّاس: عاش فترة خلال القرن السّابع عشر وأخرى في القرن الثّامن عشر.
(٤) ماري ـ كاترين كاديير: متصوّفة مسيحيّة، وُلِدتْ سنة ١٧٠٩ بمدينة تولون. اتُّهِمتْ بتعاطي السِّحر وحوكِمتْ لذلك السّبب...
(٥) السّيدان بونجور: هما أخَوان راهبان كانا على رأس كنيسة ببلدة فاران، وتشكّلت طائفة من أتباعهما الذين كانوا شديدي التصديق لهما والتعلق بتعاليمهما، إلى حدّ أنّ من بينهم من كان يطلبُ أن يجلداه، بل وحتى أن يصلباه، فقد كانت تنسب إليهما معجزات وبركات يمكن أن يستفيد منها من يُجلد أو يُصلَب على أيديهما...

بمراسم غير قليلة البذخ صلَبْتما بلا تردّد امرأتين في اعتقادي
وكان مِمّن معكم فلاّح شيخ من فاران ـ أون ـ دولّ
في بيته وبين بورتريهين لِمارا والأمّ أنجليكا
قال لي إنكما تركتما قبل رحيلكما لمن جاؤوا ومن يمكن أن يجيؤوا
مؤونةً تكفي لزمن طويل

على طريق سان رومانو

الشِّعر يُمارَس في سرير كما الحُبّ
شراشفه المهوّشة هي سَحَرُ الأشياء
الشعر يُمارَس في الغابات

إنّ له الفضاء الذي يَجِب
ليس هذا لكن الآخر الذي تُحَدِّد حالَه

عينُ الحِدَأة
الطَّلُ على نبتة ذنَب فرس
ذكرى قنّينة ترامينير مُغَبّشة بالبخار على صينية
من فضّة
رأس مِرساة عالٍ من التّورمالين[1] على البحر
وطريق المغامرة الذّهنيّة

(١) التورمالين: حجر شبه كريم، تظهر فيه خصائص كهربائيّة عند ارتفاع أو هبوط في درجة الحرارة.

التي تصعد شاقوليّةً
وكلّ وقفة تجعلها تتجلّل بعشب شائك

لا يُصرَخ بهذا على السّطوح
ليس لائقاً ترك الباب مفتوحاً
أو دعوة شهود

أسراب الأسماك صفوف طيور القُرقُب
السّكك الحديد بمدخل محطّة كبرى
انعكاساتُ الضّفتين
الثّلوم في الخبز
فقاقيع الجدول
أيّام الرّوزنامة
عُشبة القدّيس يوحنّا

مزاولة الحبّ ومزاولة الشِّعر
لا يتناغمان
مع قراءة صحيفة بصوتٍ مرتفع

اتّجاهُ شعاع الشّمس
الوميض الأزرق الذي يصل بين ضربات بلطة الحطّاب
خيط الطّيارة الورقيّة التي في شكل قَلب أو شبكة

الضّربات الموزونة لِذيول القنادس
إسراع البرق
دفق حبّات المُلبّس من أعلى الدّرجات العتيقة
الانجراف الثّلجيّ

غُرفة الجذب السّحريّ
لا يا سادة ليست الغرفة الثّامنة
ولا أبخرةَ غرفة جماعية مساءَ يوم أحد

أشكال الرقصات المنجَزة فوق البرك والمضاءة من الخلف
رسم حدود جسد امرأة بخناجر تُقذَف
التفافات الدّخان الواضحة
خصلات شَعرك
منحنى إسفنجة الفيليپين
عُقَد الثعابين المرجانيّة
دخول اللبلاب في الخرائب
أمام كل هذا ما يلزم من وقت

العناق الشعري مثلما العناق الجسدي
طالما يستمرّ
يمنع أيّ منفذ إلى بؤس العالَم

إنصات إلى المحارة

لم أكن قد بدأتُ أراكِ كنتِ أُوبْ[1]

لم يكن شيءٌ قد كُشِف
كانت كلّ القوارب تترجّح على السّاحل
فاكّةً الأشرطة الحرير (تعرفين) عن عُلب حبّات المُلَبّس
الورديّة والبيضاء التي يتنزّه فيما بينها
مكّوك من فضّة
وأنا أسميتُكِ أُوبْ مرتعشاً

بعدها بسنوات عَشر
أعثر عليك من جديد في الزهرة المداريّة
التي تتفتّح في منتصف الليل
بلّورة الثلج الواحدة
التي تطفح من كأس يديك الاثنتين

(١) أُوبْ هي ابنةُ الشّاعر، ومعنى هذا الاسم: فَجر.

يسمّونها في المارتنيك زهرة الحفل الراقص
هي وأنتِ تتقاسمان سِرّ الوجود
فأوّل حبّة طَلّ تتقدّم كثيراً على الأخريات
تنبعث منها ألوانُ قوس قُزَح
جنونيةٌ وتحتوي كلّ شيء

أرى ما سيبقى إلى الأبد مُخفىً عنّي
إذ تنامين في فُرجة ذراعك تحت فراشات شَعرك
وحين تنبعثين من فينيق نبْعك
في نعناع الذّاكرة
ومن التموّج الملغز للتشابه في مرآة بلا قاع
تسحبين دبّوس ما لن نراه ثانية

في قلبي كل أجنحة زهرة الصقلاب
تُوطّد ما تقولينه لي

تلبسين فستاناً صيفيّاً لا تتعرّفين فيه على فستان لك
يكاد يكون لامادّياً تزيّنه في كلّ الاتجاهات قِطع مغناطيس
على شكل حدوات أحصنة جميلة
حمرتها خفيفة وذاتُ قدمين زرقاوين

داخلُ البيت

مائدة جاهزة جِدُّ فاخرة
وطويلة بما يفوق المألوف كثيراً
تفصلني عن امرأة حياتي
التي لا أراها جيّداً
في نجمةِ أقداح من كلّ الحجوم تستبقيها منقلبةً إلى الوراء
وقد انكشف جِيدُها وكتفاها بأقوى سرعة

فندق الشّرار

الفراشة الفلسفية
تحطّ على النّجمة الوردية
وهذا يُشَكّل نافذةً للجحيم
لا يزال الرجل المقنّع واقفاً أمام المرأة العارية
التي ينزلق شَعرها مثلما الضّوء
في صباح ما على مصباحٍ بالشارع
نُسِي مشتعلاً
قطع الأثاث العالمة تجرّ معها الحجرة التي تَقذف وتلتقط
نَجميات تُزين سقفها
وأشعّتَها الشمسية الدائرية
وقوالبها الزجاجية
التي تزرقّ بداخلها سماء مرسومة بالبركار
في ذكرى الصّدر الذي لا يُضاهى
الآن تمرّ غيمةُ حديقة من فوق رأس رجل جلس للتّو
إنه يشطر إلى قسمين المرأة ذات النصف العلوي السحري

ذاتَ العينين اللتين من پارما
إنّها السّاعة حيثُ دبّ القطب الشّمالي ذو المظهر الموحي بذكاء شديد
يتمطّى ويَعُدّ نهاراً
من الجانب الآخر يثور المطر في شوارع مدينة كبيرة
المطر في الضّباب مع بقع شمس على أزهار حمراء
المطر ولعبة ديَابولو[1] الأزمنة القديمة
الساقان تحت الغيمة ذات الثمار تجوبان الدفيئة
لا تعود تُرى إلاّ يدٌ شديدة البياض
النّبض فيها يمثله جناحان موغلان في الصِّغر
رقّاص الغياب ينوس بين الجدران الأربعة
شاقّاً الرؤوس
التي تنسلّ منها عصابات ملوك لا تلبث أن تشتعل بينهم الحروب
حتى يَكتشف الكسوفَ الشرقي الذي هو فيروز في قعر الفناجين
السريرَ ذا الأضلاع المتساوية
ذا الشراشف التي في لون هذه الأزهار
المسمّاة كرات الثلج

(١) لعبة تتميز بوجود قسمين من مخروط منتظمين في جانبي خيط، وتتمّ إدارتهما بتحريك الخيط.

المناضدُ الصغيرة الجذابة الستائر المُخرّقة
دانيةٌ من كتاب صغير حُفرت عليه هذه الكلمات
ما من غد
لكاتبها اسمٌ غريب
بين الإشارات الأرضية الغامضة

مفتاح صُولْ

إلى پيير ريفردي

يمكننا أن نتتبّع على الستارة
الحبُّ يرحل

مع هذا

بيانو طويل
كلّ شيء يضيع

النّجدة
السّلاح الدّقيق

أزهار
هي في الرّأس

لتتفتّح

مفاجأة غير منتظرة

الباب بالدّفع ينفتح
الباب هو موسيقى

تمضي أطرافُك ناشرةً...

تمضي أطرافُك ناشرةً حولك شراشفَ خضراء
والعالم الخارجيّ
في هيئته المشكَّلَة من نقاط
لم يعد يلعب
المراعي حذفتْ ألوان الأيّام
أبراجُ أجراسٍ تلتحق ببعضها
واللغز الاجتماعي كشف توليفته الأخيرة
هذا الصباح مجدّداً نهضتْ هذه الشّراشف
ومعك جعلتْ شراعاً
من سرير ذي شكل موشور
في الحصن المُشَوَّش
حصن الصفصافة ذي عيني اللامة
الذي كنتُ فيما مضى قد انطلقتُ منه في رحيلي
ورأسي
إلى أسفل

يا شراشفُ يا لوزة حياتي
حين تمشي يُمِدّ نحاسُ الزُّهَرة
بالعروق الورقةَ التي تنزلق
ولا حوافّ لها
جناحك الكبير السّائل يخفق
في نشيد الزّجّاجين

نشّاف الرّماد

إلى روبير ديسنوس

العصافير ستَسأم
إنْ كنتُ قد نسيتُ شيئاً
اقرعوا أجراس الخروج في هذه المدارس بالبحر
ما سنسمّيه عشبة لسان الثّور المتأمّلة
يتمّ البدء بإعطاء حلّ موضوع المباراة
وهو سؤال عن عدد الدّموع التي يمكن
أن يحتويها كفّ امرأة

١ ـ صغيرة إلى أقصى ما يمكن
٢ ـ في كفٍّ متوسّطة

فيما أدْعَك هذه الجريدة المرصّعة بالنّجوم
وفيما اللحم الجسديّ الخالد

يُصبح بشكل نهائيّ
مالكَ قمم الجبال
أسكن بشكل وحشي بيتاً صغيراً في فوكلوزْ

قلبٌ حَرْفٌ من الطّابَع

قطعة مزيفة

إلى بنجامين پيريه

من مزهرية من كريستال بوهيميا
مزهرية من كريسـ
مزهرية من كريسـ
من مزهرية من
من كريستال
من مزهرية من كريستال بوهيميا
بوهيميا
بوهيميا
بوهيميا
هيميا هيميا نعم بوهيميا
من مزهرية من كريستال بُو بو
من مزهرية من كريستال بوهيميا
إلى الفقاعات التي كنتَ تنفخها وأنت طفل

كنت تنفخها

تنف

تنفُ

تنفخ

تنفخها وأنت طفل

من مزهرية من كريستال بوهيميا

إلى الفقاعات التي كنت تنفخها وأنت طفل

تنفخها

تنفخها

نعم تنفخها وأنت طفل

في هذا القصيدةُ كلّها في هذا

فجرٌ عا

فجْرٌ عا

فَجرُ انعكاساتٍ عابر

فجرٌ عا

فجْرٌ عا

فَجر انعكاسات عابر

دائماً للمرّة الأولى

دائماً للمرّة الأولى
وأنا بالكاد أعرفكِ بالعِيان
تدخلين في تلك السّاعة من الليل إلى بيت مائل
بالنسبة لنافذتي
بيت مُتخَيَّل بأكمله
وهناك من ثانية إلى أخرى
في السّواد التّامّ
أنتظر أن يحدث من جديد التّمزّق الفاتن
في واجهة البيت وفي قلبي
وبقدر ما يزداد اقترابي منك
في الواقع
يشتدّ غناء المفتاح بباب الغرفة المجهولة
التي تبدين لي وحيدةً فيها
في البدء أنتِ متحلّلة تماماً في ما يُشِعّ
زاوية السّتار الهاربة

هي حقل ياسمين تأمّلتُه في الفجر
على طريق بإحدى ضواحي غْراسْ
آلات القَطف فيه التي تبدو مائلةً
خلفها الجناح القاتم المرتخي
للشّتائل المشذّبة
أمامها مثلّثُ ما يَبهر
الستار يُرفع بشكل لامرئيّ
تدخُلُ في صخب كلُّ الأزهار
إنها أنتِ في صراع
مع هذه الساعة الطويلة جدّاً
والتي ليست أبداً مشوّشة حدّ الإغفاء
أنتِ كما لو أمكنك أن تكوني
أنتِ نفسك باستثناء أنّه وارد
ألا ألتقيَك أبداً
تتظاهرين بأنّك لا تعرفين أنّي أراقبك
بشكل رائع لم أعد متيقناً
من كونك تعرفين ذلك
عدم انشغالكِ يجعل عينيّ تغرورقان بالدموع
تأويلات شتّى تحوق بكلٍّ من حركاتك
إنّهُ اصطيادُ فراشات

هنالك كراسيُّ هزّازة على جِسر
هنالك أغصان توشِك أن تخدشك في الغابة
هنالك في واجهة بشارع نوتردام دي لوريتْ
ساقان جميلتان متقاطعتان في جوربين نسائيّين طويلين
يتّسعان في الوسط من عشبة نَفل كبيرة بيضاء
هنالك سلّم من حرير مبسوط على اللبلاب
هنالك أنّني
بإطلالي على هاوية غيابك
عثرتُ على الأسلوب الخَفيّ
لأُحبّك

دائماً للمرّة الأولى

مُحبّون للأجانب

أُولي

أكيدٌ أنّك إله عظيم
رأيتك بعينيّ كما لم يرك شخص آخر
أنت لا تزال مجلّلاً بالتّراب والدّم لقد خَلقتَ للتّو
أنت فلاّح شيخ لا يعرف أيّ شيء
ولتسترجع قواك أكلتَ مثلما خنزير
إنّك مُبَقَّع بِلُطَخٍ لآدميّين
والعين تُدرِك أنّك حشوتَ منهم ذاتك حتّى الأذنين
إنّك ما عدتَ تسمع
من قاع صَدفة تمعن فينا النّظر بطرفي عينيك
تقول لك مخلوقاتك ارفع يديك وما زلتَ تهدّد
أنت تخيف أنتَ تُدهش

تِيكي

أحِبّكَ بسَحنة البِحار
أحمرَ مثلما البيضة حين تكون خضراء
تحملني إلى فُرجة مُضاءة
ليّنة الملمس كما طائر سُمّانَى
تُسندني إلى بطن المرأة
كما إلى شجرة زيتون صَدفِيّة
تمنحني التّوازن
تُرقِدني
بالنسبة إلى واقعة أنّي قد عِشْت
من قبل ومن بعد
تحت جفوني التي من مطّاط

رانو راروكو

ما أجمل العالم
اليونان لمْ توجدْ قَطّ
لن يمرّوا[1]
حصاني يجد عَلَفه
في فُوّهة بركان
رجالٌ ـ طيور وسابحون منحنون
حلّقوا حول رأسي لأنّي
أنا أيضاً
مَن يوجد هنا
غائصاً حتّى ثلاثة أرباعي
هازئاً من علماء الإثنولوجيا
في ليل الجنوب الودّي
لن يمرّوا

(١) تعود هذه العبارة، في الأصل، إلى الجمهوريّين الإسبان، وكانوا يُردّدونها في مواجهة الفاشيين من أتباع فرانكو أثناء الحرب الأهليّة الإسبانية.

السّهل هائل الشّسوع
الذين يتقدّمون مُضحكون
الصّوَر العالية قد سقطتْ

قصيدة[1]

في نصف النهار الجميل من ١٩٣٤
كان الهواء وردة بديعة ورديّة في لون سمكة من البورِيّ الأحمر
والغابة حين كنتُ أتهيّأ للدّخول إليها
كانت تبتدئ من شجرة أوراقُها من ورق لفّ السّجائر
لأنّي كنتُ أنتظرك
ولأنّك إنْ تنزّهتِ في رفقتي
قي أيّ مكان
يكنْ فمك إراديّاً عشبة الحبّة السوداء
التي تنطلق منها بلا توقّف العجلة الزّرقاء المستفيضة والمنكسرة
التي تصعد
ليمتقع لونها في الأخدود
كلّ مظاهر الحظوة كانتْ تَخِفّ إلى لقائي
وجاء سنجاب ليُطْبق بطنه الأبيض على قلبي
لا أعرف الهيئة التي كان يتّخذها جسده

---

(١) بلا عنوان في الأصل ـ من: «هواء الماء».

لكنّ الأرض كانت ملأى بانعكاسات أعمق
من التي للماء
كما لو أنّ المعدن رَجّ أخيراً طبقته الخارجيّة
وأنتِ ممدّدةً على بحر الحصى الرّهيب
كنتِ تدورين
عاريةً
وسط شمسٍ كبيرة من نيران الألعاب
كنتُ أراكِ تنحدرين على مهل من الشعاعيّات[1]
حتى قواقعُ قنفذ البحر أنا كنتُ فيها
معذرةً لم أكنْ وقتَها بعدُ فيها
كنتُ قد رفعْتُ رأسي لأنّ العلبة الحيّة التي من مُخْمَل أبيض
كانتْ قد غادرتْني
وكنتُ حزيناً
كانت السّماء فيما بين الأوراق تُومِضُ ذاهلةً
وصُلبةً كيعسوب
كنتُ سأُغمِضُ عينيّ
حين هوى طرفا الدّغل اللذان كانا فجأةً قد تباعدا
هوَيا بلا صوت

(١) من أحاديات الخلية، بحرية.

مثل الورقتيْن الوُسْطيين لزنبقةِ وادٍ هائلة الحجم
أو لزهرة قادرةٍ على احتواء الليل بكامله
كنتُ حيثُ تريننني
في العطر مصعوقاً بأقصى قوّة
كان لي الوقت لأضع شفتيّ
على فخذيك اللتين من زجاج
قبل أن تعودا إلى الحياة المتبدّلة في مثل كلّ يوم

أيّة تهييئات

الخزانات القروية المنتفخة
تتزحلق في صمت على السكك الحليبيّة
إنها الساعة التي تتجمّد فيها الفتيات المحمولات
من قِبَل أمواج الليل
التي تُدحرج نباتات كَرْلين[1]
يتجمّدن مشدودات بعَضّة قاقُم
ستصوغ صرختُه الجانب الأعلى من حناجرهنّ

الأحداث التي من نطاق آخر عديمة الأهمية بشكل مطلق
لا تحدّثوني عن هذا الورق الحائطيّ
المزيّن برسوم لنباتات العُلّيق
والذي لا يستعجل شيئا أكثر
من أن يُمزّع نفسَه

الشُّعَل السّود تتصارع في موضع السياج مع امتدادات عشبيّة

(١) الكَرْلين: نبات شوكيّ.

عَدْوُ أفراس في البعيد
إنها شحنة من باطن الأرض أُعلِنَ عنها
وسط الأخشاب البنفسجية ونباتات البَقس
الغرفة بأكملها تنقلب
الصّف البديع للمكاييل القصديرية
يُستنفد في مكيال واحد فحسب
هو علاوةً على هذا الخمرُ الرّماديّ
الفخذُ المُرسَلة دوماً بشكل مبكّر جدّاً
لتكون على اللوحة الطباشيرية وقتَ النّكد المستجدّ

مناجم البشر بحيرات الهمهمات
الفكر يجذب عِقده الذي ينتظم بيوت كلاب قديمة
فلأُترَكْ نهائيّاً مع هذا

الشياطين ـ الذُّباب ترى في هذه الأظافر
بزور قسمِ تفّاحة الطّلّ
المستعاد من قعر الحياة
الجسد مغطّىً بالأسماك ينبثق من الشّبكة
التي يتقاطر ماؤها
في الدّغل
هواءٌ حول السّرير
حارس الزَّيغانِ الأثيرِ بعينيه الثّابتتين شبه المفتوحتين شبه المغلقتين

طاردهنّ كلّهنّ

إلى بنجامين بيريه

في المركز من أراضي الهنود بأوكلاهوما
رجلٌ جالس
عينُه مثل قطّ يطوف حول أصيصِ نَجيل

رجلُ مُطَوّق
ومن خلال نافذته
مجلس الآلهة الخادعة الصّارمة
التي تنهض من الضّباب أكثر عدداً في كلّ صباح
حوريّات غاضبات
عذراوات على الطّريقة الإسبانية
بداخل مثلّثات متساوية الضّلعين
مذنّبات ثابتة يُزيل البرد لونَ شَعرها

النّفط مثل شَعر إيليانور
يَغلي فوق القارّات
وفي بذرته الشّفافة
على مدى البصر هنالك جيوش تراقب بعضها
هنالك أناشيد تسافِر تحت جناح لمبة
وهنالك أيضاً الأمل في المُضِيّ بسرعة
إلى الحدّ الذي يلتقي معه في عينيك
خيط زجاجة النّافذة مع أوراق الشّجر
والأنوار

في ملتقى الطّرق المترحّلة
رجل
هو الذي رُسِمتْ حوله دائرة
مثلما حول دجاجة

مدفون حيّاً في انعكاس البقع الزرقاء
المكوّمة إلى ما لا نهاية في خزانته

رجلٌ رأسُه مَخِيطٌ إلى الجوارب الطّويلة للشّمس الغاربة
ويداه سمكتان ترعيان الطّحالب

هذا البلد يُشبِه علبة ليل هائلة الحجم
بنسائه القادمات من أقصى الأرض
أكتافهنّ تُسَوّي حصى كلّ البحار
لمْ تنسَ الوكالات الأمريكيّة أن تتكفّل بهؤلاء الزّعماء الهنود
الذين حُفِرتْ في أراضيهم آبار
والذين لم تبق لهم حرّية التّنقّل
إلا في الحدود التي تَفرضها معاهدة الحَرب

الغنى اللامُجدي
الجفون الألف للماء الذي ينام
يمرّ الوصيّ في كلّ شهر
يضع قبعته الأنيقة على السّرير المغطّى بالسّهام
ومن حقيبته التي من جلد الفقمة
تتناثر أحدث كتالوغات المعامل
التي تمنحها أجنحةً اليد التي كانت تفتحها وتغلقها
حين كنّا أطفالاً

مرّةً وعلى الخصوص مرّةً
كان ذاك كتالوغ سيّارات
يُقدِّم سيّارة العروس

للعربة التي تمتدّ لنحو عشرة أمتار
وتجرّها الخيل
يُقدّم عربةَ الرّسّام التشكيلي الكبير
وهي مُقتطَعة من مَوشور
وعَربة الحاكم
الشبيهة بقنفذ بحر كلٌّ من شوكاته قاذفةُ لهب

وكانت هنالك خاصّةً
سيّارةٌ سوداء سريعة
بأعلاها نُسورٌ من صَدف
وفي كلٍّ من جوانبها نَقْشٌ لِغصن ذي أوراق
ممّا تزيَّن به مداخن الصّالونات
فكأنّما نُقِشَ مِنْ قِبَل الأمواج
عربةٌ باذخة لا يُمكن أن يُحرّكها إلاّ البرق
مثلما تلك التي تهيم فيها الأميرة أكّانتْ[1]
مِنقلةٌ هائلة الحجم بأكملها من بزّاقات رماديّة
ومن ألسنة نار كما تلك التي تظهر
في السّاعات المشؤومة

(١) شخصية قصصية خيالية.

في حديقة بُرج سان جاك
سمكةٌ سريعة عالقة بطحلب وضرباتُ ذيلها لا تكفّ
سيّارة كبيرة للتّباهي وللحِداد
للنّزهة الأخيرة لإمبراطور قدّيس قادم
من أجل نزوة
وستجعل الحياة بأكملها عتيقة الطّراز

الإصبع أشارت بلا تردّد إلى الصّورة المتجلّدة
ومنذ ذلك الوقت
فالرّجل ذو عُرْف سمندل الماء
خلف عجلة القيادة التي من لآلئ
يأتي كلّ مساء ليُطرّز سرير إلهة الذُّرة

أحتفظ للتّاريخ الشّعريّ
باسْم ذلك الزّعيم الذي سُلِبت منه أملاكه
والذي نشعر نوعاً ما بقرابته لنا
اسم ذلك الرّجل الوحيد الذي دخل السّباق الكبير
ذلك الرّجل الذي صدِئ بشكل بديع في آلة جديدة
الذي يُنَكِّس الرّيح

إنّه يُسمّى
إنّه يحمل الاسم اللامع
الذي هو طارِدْهنّ كلّهن
على الدّوام طارِدْ في الآنِ نفسِه الأرنَبين
جَرّب حظّك الذي هو مجموعة أجراسِ احتفال وإنذار
اِجْرِ خلف كائنات أحلامك اللائي يفقدن قواهنّ
ملفوفات في تنانيرهنّ الدّاخليّة
اِجْر خلف الخاتم الذي بلا إصبع
اِتبع رأسَ الجُرف الثّلجيّ

أكثر من مُريب

أشجار البلّوط مصابة بمرضٍ خطير
فهي تيْبَس بعد أن تتيح إمكانية الفرار
في ضوءٍ من ماء المزابل وقتَ الغروب
لِحَشد كامل من رؤوس الجنرالات

من: «كوكبات نجوم»

«Constellations»

(وهي مجموعة نصوص استقى بريتون أجواءها ـ على
طريقته ـ من تصاوير بالغُواش لخْوان ميرو)
(منشورة أيضاً ضمن الكتاب الشّعري: «علامة صاعدة»)

امرأة وعصفور

القطّ يحلم ويزمجر في متجر آلات وتريّة.
إنّهُ يسبر غورَ الأبنوس وبشكل غير مباشر يلعق من بعيد الأكاجو اللمّاع.
إنّها السّاعة التي تُرخي فيها عنقاءُ نباتِ الفُوّة خرطومها بالآلاف حول منهل مياه فوكلوز، والتي لا تكون خلالها المرأة في كلّ مكان إلاّ كأساً تطفح بحروف العِلّة في ارتباط مع ماغنوليا الليل التي لا تُحاكى.

سُلّم الفرار

لا يزال كلُّ شيءٍ مُغضَّناً كما برعم واحدة من شقائق النّعمان لكنّ الهواء يتثاءب بسبب الأحابيل. وما عليك إلا ان تنفذ إلى الخارج حتّى تجد نفسك ماضياً بين صناديقِ مفاجآتٍ من كلّ الحجوم منها لا يطلبُ رأسُ بيار منفوشِ الشَّعر سوى أن ينبثق من جسده ذي الحلقات هو الذي أضحى الآن راشداً نافشاً لحيته التي من جَمر.

بكامل عدّتهم، يتبادل منظّفو المداخن صيحات «أووووه ـ أووووه» طويلة إلى أقصى ما يستطيعون عبر قنوات المداخن.

نجمة الصّبح

تقول هي للرّاعي:

«اِقْتربْ.

أنا هي التي كانت تجتذبك وأنتَ طفل نحو هذه الكهوف العميقة التي يَركُن فيها البحر عند تراجعه بيوض الزّوابع التي تلمّعها أعشاب البحر ذات الأعداد التي لا تنتهي من الجفون المُسبلة.

ولكنّكَ في الضّوء مُجَعِّدِ الشَّعْر، إذْ كنّا نضع اليد على الأحافير البديعة في الطريق التي كانتْ تتحسّس اتجاهها عبر الجبل الذي فُجِّر بالدّيناميت، كنتَ تتحرّق لظهور زاويةِ الصندوق المصنوع قديماً جدّاً الذي يحتوي (فلن يكون ضروريّاً حتّى فتحه بالعنف) كلَّ ما يُمكن أنْ ينسابَ ممّا يبهر البصر في العالَم.

أمنحك إيّاه لأنّكَ أنتَ مثلما في كلّ يوم من أجل أنْ تهدل الثلوم، ولكي تبادر رفيقتك، التي ستشعر بالزّهوّ أكثر من أيّ واحدة أخرى، إلى الابتسام في وجهك إذ تلتقيك.»

نشيد العندليب
في منتصف الليل وأمطارُ الصّباح

مفتاح صُولْ يتخطّى القمر.
حشرة ترصّع حدَّ سيفِ مراسيم التقديس.
قارب شراعيّ حملته الرياح الصّابيات يفتتح لنفسه معبراً في الأدغال.
وقطرات الإكسير الاثنتا عشرة تنتشر سَيْلَ نُسوغ يجعل القلوب كأنّها في جنّة ويتظاهر بأنه يتضوّع بهذه الأعجوبة (لا يمكننا رؤيتها إلاّ موارِبة) التي، فيما يتعلّق بالسّعادة، تَعْدِل النّشيج.
الكلاليب القديمة العزيزة وهي جدّ ملتهبة تضع مجدّداً أغطية قدورها.

شخصيّة جريحة

يدور الإنسان طيلة حياته حول دغل صغير مُقفل لا يُميّز فيه إلاّ البراميل السّوداء التي يصّاعدُ منها بُخارٌ أسود.

ذكريات الطّفولة تجعله يلاقي خلسةً العجوز التي رآها للمرّة الأولى بالضّبط تخرج من ذلك الدَّغل حاملة حزمة دقيقة جدّاً من الأشواك شديدة الالتهاب. (كان قد انْشَده وفي الوقت نفسه سمع نفسه يصرخ، ثمّ بمفعول سِحر نضبَ دمعه إذ ندَّت التماعات من عصابة الكتّان التي يعثر مجدّداً عليها اليوم وهي محلولة العقدة في السّماء).

ذلك التّلقّن بَعيدُ العهد أحناه رغماً عنه على شفرات الخناجر وجعلَه يداعب بملامسات مهووسة الرّصاصة الفِضّية التي يُقال إنّ الكونت بوتوكي قد قام بصقلها على امتداد فصول من أجل أنْ يُنْفذها في رأسِه.

فمن دون أن يدري كيف أمكنه النّفاذ إلى دغل، يمكن الإنسانَ أن يستيقظ بداخله في أيّ لحظة بمفعول سقوط حُرّ لمصعد في قصر السّراب بين الأشجار المضاءة من الدّاخل والتي سيسعى إلى أن يُبعِدَ عنه ورقة قرمزية من بين أوراقها.

مجلس الطّبقات

(منتخبات)

قلْ ما هو خَفيّ تكلّمْ
قلْ ما يبتدئ
واصقُلْ عينيّ اللتين بصعوبة تلتقفان الضّوء
كما دغل يتفحّصه قنّاص مُسرنم
اصْقُلْ عينيّ طيِّرْ هذه السّدادة التي من مردقوش
والتي تضلّلني بِخصوص أنواعِ كائنات هذا النّهار
النّهار لو كان هو
حين تمرّ على القرى ساعةُ الحَلْب
هل سينزل بكلّ ذلك التّعجّل درجاتِه
ليتبهدل أمام خطّ الشُّعَل العموديّ
الذي يقفز من أصابع إلى أصابع بين النسوة الشابات بالمزارع
اللائي دوماً يتعاطين السّحر
اصقُلْ عينيّ بهذا الخيط البديع الذي ينبعث على الدّوام مِن تقطّعه

لا تترك سواه أَبْعِدْ كلّ ما هو مبقّع
بما في ذلك زخرف المعارك الكبير ذاك الذي في البعيد
مثلما شبكة تَسقط قطرات مائها تحت تقبّضات أسماك المَغيب
اصقُل عينيّ اصقلهما بالغبار المندلع لكلّ ما رأياه
سواء أكان كتفاً أو ضفائر قرب إبريق مياه خضراء
في الصّباح
قلْ ما الذي يوجد تحت الصّباح ماذا تحت المساء
ليكون لي أخيراً ملمح طوبوغرافي عن تلك الثغور الخارجة عن
العناصر وعن كلّ ملكوت
والتي تخرق منظومتُها التوزيع الساذج للكائنات والأشياء
وتكشف جهاراً وبسخاء سرّ ما يؤالف بينها
سِرَّ نزوعها إلى التباعد أو إلى التضامّ
على شاكلة هذه التيارات
التي يخترق بعضها بعضاً ولا تتداخل على الخرائط البحريّة
(...)

سيكون هنالك

مِن أين تأتي ضجّةُ النّبع هاته
مع أنّ المفتاح لم يبقَ بالباب

كيف التّوصّل إلى زحزحة هذه الأحجار السّوداء هائلة الضّخامة
من أماكنها
في ذلك اليوم سأرتعد خوفاً من أن أُضِيعَ أثراً
في أحد الأحياءالغائمة بِلِيونْ
«نَفحةَ نعناع» كان ذلك وأنا على وشك بلوغ العشرين
أمامي الطّريق المُنوِّم معي امرأة سعيدة بشكل قاتم
على أيّ حال فالأعراف ستتغيّر كثيراً
والمُحَرَّم الكبير لن يعود كذلك
(...)

رَفش

الكَسر في القرميدة الجوفاء يبتسم للجير الحيّ
الهواء يمزج أنفاس الأفواه الأكثر إثارة للرّغبة
أوّل مرّة تكون قد تخلّت عن التمنّع
وحركة العامل هي فتيّة حدَّ الاعتقاد
بأنّ زُنْبُرك الشّمس لم يُشَغَّل قَطّ
حاجز مترعٌ بالنّوايا توتّره الرّعشات
يعبر غرفةَ الحُبّ
ساعةَ مغادرة عنقاءِ مُغْرب لهياكل البناء
(...)

والعامِل اليدويّ

ليس دون العالم علوَ قامةٍ في عينيِّ الشّاعر

أمّا الطّاقة فلم يكن الأمر يتعلّق إلاّ بنقلها إلى حالتها الخالصة

لِجعْل كلّ شيء شَفّافاً

لمنح الخطى البشرية هُدباً من ملح

كان يكفي أن يتصوّر الشّعب ذاته ككُلّ وأن يُصبح كذلك

ليسموَ في تواؤم إلى معنى التّعالق الكونيّ

وَلِيُشعِره تنوّعُ ألوان الجلد والتّقاسيم على وجه الارض

بأنّ سرّ قُدرته

هو في اعتمادٍ حُرّ للعبقريّة المحلّية فيما يخصّ أيّاً من الأعراق

والتّوجّه أوّلاً صوب العِرق الأسود العِرق الأحمر

لأنّهما كانا لزمن طويل الأكثر تعرّضاً للإهانة

ليتقارب كثيراً الرّجل المرأة وعينا كلّ منهما في عيني الآخر

هي غيرُ متقبّلة للتّسلّط هو غيرُ متصفّح ضياعه

ورشة تهتزّ ورشة ينبض بها نورٌ أوّليّ

اللغز هو في عدم معرفة هل نهدم هل نبني

(...)
على رمال

تمرّ قبائلُ رُحّلٍ لا يرفعون رؤوسهم
أنا منهم قياساً إلى كلّ ما عرفته
إنّهم مُقَنّعون مثل جرّاحين يُجرون عمليّات
هؤلاء الصّرّافون القدامى مع نسائهم ذوات الخصوصيات الكثيرة
أمّا عن تعبير النظرة فقد رأيت العديدات منهنّ
متأخّراً بثلاثة قرون رأيتهنّ هائماتٍ على مشارف المدينة
وإلاّ فهي أنوارُ السّينْ
يتوقّف الصّرافون وقتَ تقشير سمكة المَرجان
لأنّ عليّ أن أُصرّف أكثر بكثير منهم
والموتى هم البيوض التي تعود لالتقاط أثرِ العشّ
لستُ مثل العديد من الأحياء
الذين يتقدّمون أمام غيرهم من أجل أن يعودوا
أنا ذلك الذي يسير
سيُعفونني من وضع صليب على قبري
وسيُديرونني جهةَ النّجم القُطبيّ
لكنّ كلّ وصيّة تفترض تنازلاً لا يُغتَفر
كما لو لم يكن في موضع الفصّ بخاتم ارتباطي بالأرض

لم تكن تقبع بسموّ قطرة السّمّ المشرقيّ
التي تجعلني واثقاً من التّحلّل التّام لهذه الأرض بمعيّتي
كما تصوّرها فِكري مهرباً
راديكاليّ الطّابع أكثر
إن لم يكن أشدّ كبرياء
من ذلك الذين دعانا إليه سَادْ الرّائع
الذي أوكَل للحشفة إذ صارت معه شعاراً
أن تَحجب مكان إقامته الأخير
لكمْ أُطري نفسي قال
بكون ذكراي ستمّحي من أذهان البشر
إلى جهة الوجه أم القفا قطعةُ النّقد العارية
التي لا صورة عليها ولا تأريخ
وجه
المنحدَر الذي لا يُشعَر به والذي مع ذلك
لا تمكن مقاومة جَذْبه
المؤدي صوب الأحسن
(...)
فمن هنا ندخل
ندخل نغادر
ندخل
لا نغادر

لكنّ الضوء يعود
ولذة التدخين
عنكبوتُ الرّماد الجنّيةُ المنقّطة بالأزرق والأحمر
ليستْ أبداً مسرورةً
ببيت موتسارت الذي لها
الجرح يندمل كلُّ شيء يتوخّى أنْ يُتعرَّف عليه
أتحدّث وأسفلَ وجهك يدور
الشّكل المخروطيّ للظّل
الذي من أعماق البحار دعا اللآلئ
الجفون الشّفاه تتنشّق ضوء النّهار
مَن في الحلبة يغادرونها
طائر لم يحترس حين حلّق
فنسي القشّة والسّلك
بالكاد إن كان هنالك سرب
يحلو له أن يتزلّج
السّهم ينطلق
ونجمةٌ نجمةٌ لا غير ضائعة في فرو الليل

من: «الحقول المغناطيسية»

«Les champs magnétiques»

(وهو كتاب مشتَرَك بين اندري بريتون وفيليپ سوپو،
صدر سنة ١٩٢٠)

المرآة بلا قصدير خلفيّ

سجناء قطرات المياه، لسنا سوى حيوانات أبديّة. نَجري في المدن التي بلا ضجيج والمُلْصقات المسحورة لم تعد تؤثّر فينا. فما جدوى حالات الحماس هذه القابلة للخمود، وقفزاتِ الفرح المتقبّضة تلك؟ لم نعد نعرف شيئاً غيرَ النّجوم الميّتة؛ ننظرُ إلى الوجوه؛ ونتأوّه من اللذّة. أفواهنا جافّة أكثر من الشّواطئ الضّائعة؛ عُيوننا تلوب بلا هدف، بلا أمل. لم يعد هنالك غير هذه المقاهي حيث نجتمع لنتناول هذه المشروبات الباردة، هذه المشروبات الكحوليّة الممزوجة، والمناضد الدّبقة أكثر من تلك الأرصفة التي سقطت عليها الظّلال الميّتة التي كانتْ لنا البارحة.

أحياناً، تُحيطُنا الرّيح بيديها الكبيرتين الباردتين وتربطنا إلى الأشجار التي قطّعتْها الشّمس. جميعنا، نضحك، نغنّي، لكن ما عاد أحد يسمع خفقان قلبه. تغادرنا الحمّى.

لم تعد المحطّات العجيبة تؤوينا بتاتًا: الممرّات الطّويلة تُخيفُنا. يجب إذن أن نستمرّ في الاختناق لنعيش هذه الدّقائق التي بلا عمق، هذه القرون الممزَّقة. كنّا في ما مضى نُحِبّ شموسَ آخر السّنة، والسّهول الضّيقة حيثُ كانت نظراتنا تنساب مثلما أنهار طفولتنا الجامحة. لم يعد هنالك غير انعكاسات في

هذه الأحراج التي عُمِّرتْ مجدّداً بدوابّ لا يقبلها العقل، بنباتات معروفة.

المدن التي لم نعد نريد أن نحبّها قد ماتت. انظروا حواليكم: لم تعد هنالك سوى السّماء وهذه الأراضي الخلاء الكبيرة التي لا بدّ أنّنا سنكرهها في النّهاية. نلمس بالإصبع هذه النّجوم الليّنة التي كانت أحلامنا مأهولةً بها. هنالك، قالوا لنا إنّ وديانا مذهلة توجد: نزهات على ظهور الخيل ضاعت إلى الأبد في هذا الغرب الأمريكي البعيد المُمِلّ مثلما متحف.

حين تُحَلّق الطّيور الكبيرة، فهي تَرحل دونما صرخة والسّماء المخطَّطة لم تعد تُردّد أصداء ندائها. وهي تمرّ فوق البحيرات، فوق السّبخات الخصبة؛ أجنحتها تزيحُ الغيوم شديدة الفتور. لم يعدْ مسموحاً لنا حتّى بأن نجلس: ففور إقدامنا على ذلك، تعلو ضحكات ويكون علينا أن نرفع إلى أقصى حدّ أصواتنا بذِكر خطايانا.

في يوم لم نعد نعرف لونه، اكتشفنا حيطاناً هادئة وأكثر متانة من النُّصُب التّذكاريّة. كنّا هناك ومن عيوننا المُكبَّرة كانت تنفلت دموعٌ مرِحة. كنّا نقول: «الكواكب والنّجوم من أعظم الحجوم لا تُقارَن بنا. فما هي إذن هذه القُوَّة الرّهيبة أكثرَ من الهواء؟ يا ليالي غشت الجميلة، ويا غروبات بحريّة فاتنة، إنّنا نهزأ منك! ماء جافيل وخطوط أيدينا ستُسَيّر العالَم. يا كيمياء ذهنيّة لمشاريعنا، أنتِ أقوى من صيحات الاحتضار هاته ومن الأصوات البحّاء للمصانع!» نعم، في ذلك المساء الذي كان أجمل من كلّ

الأَمسية غيرِه، أمْكَنَنا البُكاء. كانت نسوة تمرّ وكنّ يَمددن لنا أيديهنّ، مانحاتٍ إيّانا بسماتهنّ مثلما باقة. هصر قلوبنا جُبنٌ سالف، وأَشَحْنا بوجوهنا لنكُفَّ عن رؤية النّوافير التي كانت تلحقُ بالليالي الأخرى.

وحده الموت ناكر الجميل كان ما يزال يحترمنا.

كلّ شيء هو في مكانه، ولا أحد بقي بإمكانه أن يتكلّم: كلّ حاسّة كانتْ تُشَلّ وكان عميانٌ أكثر كرامةً منّا.

جعلونا نزور مشاغل أحلامٍ رخيصة والمستودعاتِ المترعة بمآسٍ غامضة. تلك كانت كالعروض السّينمائيّة البديعة وكان يلعبُ فيها الأدوار أصدقاءُ قُدامى. كانوا يختفون عن أنظارنا وكنّا نمضي دوما لنعثر عليهم من جديد في ذلك المكان نفسِه. كانوا يُقدّمون لنا حلويات فاسدة وكنّا نحكي لهم عن مسرّاتنا المشروع فيها. مثبتين أبصارهم علينا، كانوا يتحدّثون: هل يُمْكن حقّاً تذكّرُ تلك الأقوال الدّنيئة، وأناشيدَهم النّاعسة؟

أعطيناهم قلبنا الذي لم يكن سوى أغنية شاحبة.

هذا المساء، نحن اثنان أمام هذا النّهر الذي طفحت مياهه من يأسنا. ما عدنا نستطيع حتى أن نُفَكّر. ينفلت الكلام من أفواهنا المعوجّة، وحين نضحك، يتلفّت العابرون، مذعورين، ويسارعون بالعودة إلى بيوتهم.

لا نعرف أنْ نزدريَ أنفسنا.

نفكّر في أنوار الحانات، في السهرات الراقصة المضحكة بهذه البيوت الخَربة حيثُ كنّا نترك النّهار. لكن لا شيء يبعثُ أكثرَ على الوحشة من هذا الضّوء الذي ينساب وانياً على السّطوح في الخامسة صباحاً. الأزقّة تتنحّى في صمت والشّوارع يزداد مرتادوها وصخبها: متنزِّه متأخر ابتسم قربنا. إنّها أصوات عربات باعة الحليب التي تجعل خمولنا يتبخّر والعصافير تصعد إلى السّماء لتبحث عن قوت إلهيّ.

اليوم أيضاً (لكن متى ستنتهي إذن هاته الحياة المحدودة) سنمضي للقاء أصدقاء، وسنشرب نفس الخمور. ستتمّ رؤيتُنا مرّةً أُخرى على أرصفة المقاهي.

إنّه بعيد، ذاك الذي يعرف أنْ يُعيد إلينا هذا المرَح النَّشِط. إنّه يترك الأيّام المجلّلة بالغبار تنقضي ولا يعود يُنصت إلى ما نقول. «هل نَسيتم أصواتنا التي تلفّها الأسقام وحركاتِنا البديعة؟ ألم تعد حيوانات البلدانِ الحُرّة والبحارِ المُهمَلة تُسَبّب لكم النّكد؟ ما زِلت أرى هذي الصّراعات وهذه الإساءات الحمراء التي كانت تخنقنا. صديقي العزيز، لماذا لم تعد تُريدُ أنْ تُفصِح عن شيء من ذكرياتك المنيعة؟» الهواء الذي كنّا بالأمس نملأ به رئاتنا حتّى تنتفخ أصبح غير قابل لأنْ يُستَنشَق. ما عاد ممكناً للمرء سوى أن ينظر أمامه أويُغْمضَ عينيه: إذا أدرنا عيوننا، فالدُّوار سيزحف حتّى يصلنا.

المسارات التي تمّ تركها وكلّ الأسفار المنتهية، هل حقّاً نستطيع أن نبوحَ بها؟ المناظر الغفيرة تركتْ لنا طعماً مريراً على

الشّفاه. سِجننا مبنيّ بكتب محبوبة، لكنْ ما عاد بإمكاننا أن نهرب، بسبب كلّ هذه الرّوائح المفتونة التي تُنيمنا.

عاداتُنا، مثلما عشيقات هاذيات، تنادينا: إنها حمحمات متقطّعة، وحالات صمت أثقل فأثقل. إنها هاته الملصقات التي تشتمنا، كم كنّا قد أحببناها. يا ألوانَ الأيّام، يا لياليَ دائمة، هل ستهجرينا، أنتِ بدورك؟

البسمة العظيمة للأرض بأكملها لم تَكفِنا: تلزمنا صحارَى أكبر، وهذه المدن التي بلا ضواح وهذه البحار الميتة.

وصلنا إلى نهاية الصّيام. هيكلنا العظميّ يتبدّى كما شجرة عبر الأسحار المتتالية للبدن حيثُ تنام الرّغبات الطّفليّة بقبضات مغلقة. الضّعف هو في أقصاه. بالأمس فحسب، كنّا ننزلق على لحاءات بديعة إذْ نمرّ من أمام دكاكين البزّازين. لا بُدّ أنّه قد حلّ الآن ما تمّ التعارف على تسميته بسنّ الرّجولة: فإذا أشحنا بأبصارنا جانباً، ألا تكونُ هنالك تحت أنظارنا ساحةٌ حزينة مُضاءة قبل أن يهبط الليل؟ مواعد الوداع التي تُعقَد فيها تطارد للمرّة الأخيرة الحيوانات التي يخترق قلبَ كلٍّ منها سَهم.

عالقةً بشفاهنا، ليس للتعابير الجميلة المعثور عليها في الرّسائل فيما يبدو ما تتخوّف منه من قِبَل ألعابِ «ديابولو» قلوبِنا، التي تعود إلينا من علوّ شاهق، حَدَّ أنّ ضرباتها ليست متناغمة.

فعلى إشعاع سِلك بلاتين يتمّ عبور هذا المضيق الميّال إلى الزّرقة الذي تُقيم في عمقه جثثُ أشجار مقتطعة وتنبعث من ذلك العمق رائحة سائل الكِريوزوت التي يُقال إنّها نافعة للصّحّة.

(.....)

التفافة عبر السّماء

طفل يحوك يأسَ لآلئ
يستلهم العُلب التي مُنِحها بمناسبة مناولته القُربان
يَطرح على نفسه مسألة الولادة كمعادلة على نوطة دُو
يُمَترس نافذته بأهدابه
يلعبُ بصَلاة أخته التي هي
مُفَضّضةٌ أكثر من صَلاته
يتحمّل من المعاملات السّيئة
من اثنتين إلى ثلاث
يتكاثر على طريقة ميكروبات كتابه
عن طريق الانقسام أحياناً
الذي ينفصل عنه له جناحان
إنّه يُفَكّر في الانقسامات الجميلة للخلايا
خلال القُدّاس

نَشَرات

الغازات التي لا لون لها أُوقِف نشاطُها
ألفان وثلاثمئة من الوساوس
ثلج من المنابع
الابتسامات مقبولة
لا تعطوا وعود الملاّحين
أُسودُ القطبين
البحر البحر الرّمل الطّبيعي
الببغاء الرّماديّ الذي للأقارب الفقراء
اصطياف المحيطات
السّابعة مساءً
ليلُ بلدِ أدواء الكَلَب
المالِيَّة المِلْحُ البَحريّ
ما عادتْ تُرى سوى يد الصّيف الجميلة
سجائرُ المحتضرين

الفهرس

تقديم ٥

مختارات من الكتاب الشّعريّ: «سمكة قابلة للذّوبان» ١١

القسم الأوّل ١٣

القسم الثّاني ١٩

القسم الثّالث ٢١

القسم التاسع ٢٣

القسم السّادس عشر ٢٥

القسم العشرون ٢٨

القسم الثاني والعشرون ٣١

القسم الخامس والعشرون ٣٥

من: «وميض أرض» ٣٧

عُمْر ٣٩

بيتٌ غير مَكين ٤١

المخصَّر اللغزُ ٤٣

الخروج من هنا غيرُ متاح ٤٥

إزاءَ الآلهة ٤٨

الأَوْلى الحياة ٥١

خطٌّ مَكسور ٥٤
عبّاد الشّمس ٥٧
الشّمس مشدودةً بزِمام ٦٠
مُعاشَرة حرّة ٦٢
الموتُ الوَرديّ ٦٦
فِعْل الكينونة ٦٩
ما يُكتبُ يتبدّد ٧١
الغابة في بَلْطة ٧٣
تَيَقّظ ٧٥
فرع قُرّاصة يدخل من النّافذة ٧٧
النّجدة الكبرى القاتلة ٧٩
قصيدة ٨١
قصيدة ٨٣
من: «علامة صاعدة» ٨٥
عالَم ٨٧
البئر المسحورة ٨٩
خِضَمّ الهامش ٩٤
على طريق سان رومانو ١٠٢
إنصات إلى المحارة ١٠٥
داخلُ البيت ١٠٧
فندق الشّرار ١٠٨
مفتاح صُولْ ١١١
تمضي أطرافُك ناشرةً... ..... ١١٣

نشّاف الرّماد ١١٥
قطعة مزيفة ١١٧
دائماً للمرّة الأولى ١١٩
مُحبّون للأجانب ١٢٣
أُولي ١٢٥
تِيكي ١٢٦
رانو راروكو ١٢٧
قصيدة ١٢٩
أيّة تهييئات ١٣٢
طاردهنّ كلّهنّ ١٣٤
أكثر من مُريب ١٤٠
من: «كوكبات نجوم» ١٤١
امرأة وعصفور ١٤٣
سُلّم الفرار ١٤٤
نجمة الصّبح ١٤٥
نشيد العندليب في منتصف الليل وأمطارُ الصّباح ١٤٦
شخصيّة جريحة ١٤٧
مجلس الطّبقات (منتخبات) ١٤٨
من: «الحقول المغناطيسية» ١٥٥
المرآة بلا قصدير خلفيّ ١٥٧
التفافة عبر السّماء ١٦٣
نَشَرات ١٦٤

أندري بريتون

الأبدية تبحث عن ساعة يد

هذا الكتاب

ستُرْشِد الأخطبوطات المجنحة لِمرّة أخيرة القارِبَ الذي صُنِعتْ أشرعتُه من هذا النّهار

الأوحد ساعةً ساعةً

إنّها السّهرة الوحيدة التي ستشعر إثْرها بأنّ الشّمس تصعد في شَعرك بيضاء وسوداء

من الزّنازين سيَرْشَح مشروبٌ روحيّ أقوى من الموت

حين نتأمّله من فوق هاوية

ستتكئ المذنّبات بحنان على الغابات قبل أن تصعقَها

وكلّ شيء سينتقل إلى الحُبّ الذي لا يتجزّأ

إذا ما حدث أن اختفى زُخرفُ الأنهار

قبل أن يسود تماماً ظلامُ الليل ستُعاين

التّوقف الكبير للفِضّة

على شجرة خوخ مزهرة ستَظهر الأيادي

التي كتبتْ هذه الأبيات والتي ستصيرُ مغازلَ من فِضّة

هي أيضاً وأيضاً سُنونوات من فِضّة على نَوْل المطر

سترى الأفقَ ينفتحُ قليلاً وسيَقضي فجأةً على قُبْلةِ الفضاء

لكنّ الخوف سيكون وقتها قد كفّ عن الوجود (...)

ISBN 978-9933354213

9 789933 354213